وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس– مستغانم-

كليةالآداب العربية و الفنون

قسم: الأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية مقارنة

مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

ملامح الثقافة الفارسية في الأدب العباسي

شعر البحتري أنموذجا

إعداد الطالبة:

بن عمار نصيرة

الأستاذة المشرفة:

- صديق ليلى

السنةالجامعية :2016-2017

كلمـة شكـــر

الحمد الذي علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي الأكرم الذي دل الأمة على الخير وسلك بها الطريق الأقوم.

- أما بعد –

هذا العمل الذي كان ثمرة جهدي وخاتمة خمس سنوات من الدراسة

تحت إشراف قسم اللغة العربية وآدابها.

بفضل الله تعالى الذي كلل جهدي بإتمامها على أحسن وجه إن شاء الله،

أتقدم بالشكر الجزيل إلى عائلتي التي وقفت بجانبي خاصة الوالدين الكريمين أمي وأبي حفظهما الله وزوجي العزيز.

والشكر إلى الأستاذة المشرفة السيدة صديق ليلى وكل من ساعدني وساهم في تشجيعي من قريب أو بعيد.

إهـــداء

إلى أعظم قلب في الوجود رمز العطاء بدون حدود إلى أول إسم نطقت

أول حضن سكنت إلى أمـــي الحبيبة.

إلى من أحمل إسمه بافتخار إلى من تعب حتى أوصلني على ما أنا عليه

الآن أبـــي العزيز.

إلى أعز شخص إلى قلبي الذي ساندني وشجعني في لحظات الضعف واليأس وكان شمعة لي تنير ظلمتي إلى زوجي العزيز حيدرة إسماعيل وعائلته خاصة حيدرة نورة التي وقفت بجانبي.

ولا أنسى أختي خديجة وأخي محمد وإلى كل من سعتهم ذاكرتي ولم

تسعهم مذكرتي.

" بن عمار نصيرة "

المقدمة

إن التعرف على مجمل الحضارات الإنسانية شيء ضروري لدى الكثير من الباحثين، ودراستهم للحضارات القديمة وعلاقتها بالأمم الأخرى، ونظرا لما تزخر به الحياة الراهنة من منجزات وعادات وتقاليد ومظاهر مختلفة تظهر واضحة من خلال البنايات والقلاع والقصور وكذا الحدائق والمعابد.

من بين هذه الحضارات نذكر الحضارة الفارسية والتي نتطرق في بحثنا حول جملة من ملامح ثقافتها في الأدب العباسي، الذي يعد من أزهى القرون التي ازدهر فيها الشعر العربي والذي تأثر بدوره بالمظاهر الفارسية في الشعر العباسي.

من أبرز الشعراء الذين عاصروا العصر العباسي نذكر منهم ابن الرومي والذي كان يتخذ الأسلوب السهل منهجا وأب وتمام الذي كان مولعا بغرائب الألفاظ ومعانيها، بالإضافة لأب والطيب المتنبي الذي كانت تحوي معانيه وأشعاره على روح القوة والعمق في نفسه معبرا بذلك عن شخصيته .

بالنسبة للأنموذج الذي اتبعته حول الأثر الفارسي في شعر البحتري من خلال الألفاظ واستخدام المديح وكذلك الحكمة والصداقة والوصف. كيف تتجلى مظاهر التأثير الفارسي في الشعر العباسي وما الأثر الذي تركته عند الشعراء العرب؟

سأحاول من خلال بحثي هذا التطرق إلى ذكر بعض ملامح الحضارة الفارسية ودراسة الأثر الفارسي في شعر البحتري كأنموذج.

وقد ارتأيت تنظيم بحثي على هيكل المنهجية التالية:

المقدمة، المدخل، الفصل النظري، الفصل التطبيقي، خاتمة.

أما المدخل فتمهيد لموضوع الدراسة تناولت فيه لمحة من تاريخ الحضارة الفارسية.

الفصل الأول "مظاهر التأثير الفارسي في الشعر العباسي" مقسم إلى مبحثين اثنين، الأول مظاهر تأثر العباسيين بالفرس والمبحث الثاني بعنوان "من أبرز شعراء القرن الثالث".

الفصل الثاني فه وتطبيقي يحمل في طياته "الأثر الفارسي في شعر البحتري" الذي ضم بدوره مبحثين اثنين الأول التعريف بشخصية البحتري وثقافته وعصره، أما المبحث الثاني، التجليات الفارسية في شعر البحتري.

وقد وقع اختياري لهذا الموضوع لما يحمله من بعد تاريخي للحضارة والأثر المترتب عنها سواء مظاهر التأثير التي حدثت في العصر العباسي، وبصفته موضوع يزخر بالمعلومات الكثيرة كالبحر الذي إذا اغترفت منه شربة زاد اتساعا.

وقد اعتمدت على مجموعة من الكتب تنوعت ما بين مصادر ومراجع ومجلات إلى جانب مواقع الكترونية.

وعن الصعوبات التي واجهتني فتكمن في ضيق الوقت لأن هذا الموضوع يتطلب وقتا كافي والتعمق فيه إضافة إلى بعض المشاكل التقنية وإلى عدم توافقي نفسيا مع الموضوع لكثرة المعلومات المعادة في بعض المراجع.

وفي الأخير الشكر الجزيل للأستاذة المشرفة التي ساهمت بإرشادي وتوجيهي وإلى لجنة المناقشة التي أرج ومنها التساهل ولو بقليل في مناقشة مذكرتي مع مراعاة ظرفي الصحي ولكم مني كل التقدير.

المدخل

من تاريخ الحضارة الفارسية

الفرس أمة متجذرة في التاريخ، لهم في الحضارة الإنسانية أصالة يشهد لها تراثهـــم، والانفتاح الفكري على الثقافات المتعددة وكثرة الدعوات السياسية والدينية والثقافات، ومن بين هذه الحضارات التي سيطرت على التفكير الاجتماعي وفرضت نفسها الثقافة الفارسية التي تعد من أعظم وأغرق الحضارات البشرية.

وتدل الأبحاث الجيولوجية على أن إيران كانت أثناء العصور الجليدية تكثر بها السطوح المائية، بالرغم من أن حضارة الإيرانيين كانت مثل حضارة الحيثيين مبنية على بعدها العسكري، إلا أنها تميزت ببعض المظاهر التي تدل على الرقي في مضمار الحياة المدنية، وإن كان الكثير من أصول هذه المظاهر قد أقتبس من غيرهم، ومع هذا فقد فاقوا الكثير من الأمم في تطوير هذه المظاهر الحضارية واستحداث مظاهر أخرى.

ومما ساعد على نجاح هذه الإمبراطورية هي القدرة على التحكم في تسيير شؤونها، مما يخص الإدارة في ممتلكاتها، كما يعرف أن الأباطرة قاموا بإنشاء الكثير من الطرق ونظموا البريد لتسهيل الاتصال بينهم وبين مختلف الدول، ومن أهم الطرق وجود طريقان كبيران، أنشأهما " دارا " أحدهما يصل بين ليديا والعواصم الفارسية، والثاني يبدأ من مصر إلى فارس ويمتد شرقا حتى حدود الصين، كما أنشئوا المراكز التجارية والخانات لتأمين المسافرين ومدهم بما يحتاجون إليه وكانت هذه الطرق سببا في تثبيت الحكم المركزي وعاملا من عوامل نقل المظاهر الحضارية بين مختلف أنحاء الشرق الأدنى القديم ولم تقف أي عقبة في سبيل الانتقال من مكان لآخر إذ اشتهر الفرس بإقامة القناطر على الأنهار بحيث تتحمل عبور مئات الأفيال فوقها.[1]

إيران وفارس أسمان استعملا للدلالة على قطر واحد ولكنهما ليسا مترادفين تماما، فلما هاجرت الأقوام الآرية من موطنها الأصلي جنوبي بحري الآرال إلى الهضبة المرتفعة الواقعـــة أسفل بحر قزوين سموا الموطن الجديد "إيران" ومعناها موطن "الآريين" [2]

1- محمد التونجي، سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم، دار المجمع الثقافي أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ط2، 2004، ص07.
2- تاريخ الحضارة الإيرانية ، Konooooz. Unted. Com، ص03.

ويمكن تقسيم تاريخ إيران القديم إلى ثلاث مراحل:

1- حقبة ما قبل التاريخ وتبدأ من أولى الشواهد على وجود الإنسان على شبه الهضبة الإيرانية (حوالي 100.000 سنة قبل الميلاد) والتي انتهت تقريبا مع بداية الألف الأولى ق.م.

2- حقبة التاريخ البدائي وتغطي تقريبا النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد.

3- حقبة الأسر الحاكمة (من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد) عندما أصبحت إيران في بؤرة ضوء التاريخ المدون بدأ هناك مبكرا كبدايته في منطقة بلاد الرافدين.

كما تمكنت الثورة الزراعية من إقامة مستعمرات دائمة وتكوين حضارات مزدهرة أصبحت شبه الهضبة الإيرانية مهدا للحضارات من أقدم الحضارات في التاريخ، كما أصبحت إمبراطورية فارس القوة المهيمنة لما يزيد على قرنين من الزمن، فقد كان لها السبق في التقريب المتواصل بين الشرق والغرب وكانت أول إمبراطورية عالمية متسامحة دينيا فقد تعدد بها الكثير من اللغات والأعراق والديانات والثقافات وقبل سطوع نجم الإمبراطورية الرومانية كان لفارس قصب السبق في التأكيد على سطوة القانون وإنشاء جيش مركزي قوي وحكومة دولة فعالة ونظامية.

وقد مر تاريخ الفرس بثلاثة أطوار أساسية هي الدولة الإخمينية والدولة الساسانية إلا أن المعلومات عن الدولتين الأولى والثانية قليلة وتأثيرهما على غيرهما من الحضارات وخاصة الإسلامية والعصور العباسية وكان التأثير والمعلومات عن الساسانيين هوا لأكبر والأوضح. لهذا ستكون الحضارة الفارسية زمن الساسانسيين، وهذا مدار دراستنا عن ملامح حضارتها. [1]

1- تاريخ الحضارة الإيرانية، Konooooz. Unted. Com، ص03.

من بين ملامحها نذكر الإدارة التى قسم الشعب من خلالها الدولة الساسانية إلى أربعة طبقات، تنقسم كل منها إلى مجموعة من الطبقات الأخرى ولكل طبقة رئيس يرأس مجموعة من المستخدمين.[1]

وكانت هذه الطبقات الأربع مسبوقة بطبقة الملوك منها:

1) طبقة رجال الدين (آتروان).
2) طبقة رجال الجيش (آرتشتاران).
3) طبقة الكتاب(دبيران).
4) طبقة الفلاحين والصناع (وستريوشان).

ويعود هذا النظام الطبقي عند الساسانيين إلى ما ورثته الدولة عن غيرها من الدول السابقة لها من مثل: الإشكانيين والإخمينيين.

ومن الدوائر المهمة في إدارة الدولة الساسانية كانت المالية وكان كبير موظفي المالية يسمى (الواستريو شانسالار) رئيس الضريبة العقارية، وتوكل المهمة لرئيس الزراع ومنهم موظفي المالية أيضا والي الخراج (آمار كاران) ثم رئيس محاسبي البلاط الذي يقيم فيه الملك، وهو المشرف على مصروفات القصر الملكي وتأمين احتياجاته المختلفة

ويليه خازن مال الملك (كنجور) وحارس المسكوكات.[2]

من الناحية الاجتماعية كانت حضارة الإيرانيين مثل حضارة الحثيين مبنية على مجدها العسكري إلا أنها تغيرت ببعض المظاهر التي تدل على رقيهم في مضمار الحياة المدنية وإن كان الكثير من أصول هذه المظاهر قد أقتبس من غيرهم ومع هذا فقد فاقوا كثيرا من الأمم في تطوير هذه المظاهر الحضارية واستحداث مظاهر أخرى، ومن بين هذه المظاهر نأخذ المرأة كمثال ولا شك أن المرأة التي قامت بدور حاسم في الحياة الاجتماعية وتعرفت على الكثير من الأشياء، التي كانت تلعب أكبر دور كان له الأثر في الحياة الاجتماعية، فإليها يعود الفضل في كثير من الأمور البناءة للمجتمع كخبرتها في فحص

[1]- د.محمد خريسات وآخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، دار الكندي، آربد-الأردن، ط 1، 1999، ص138.
[2]- د-محمد خريسات وآخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، ص142

النباتات والتعرف على أنواع الثمار الصالحة، وقد تكون جهودها هي التي أصفرت عن المعرفة الزراعية، واختراع الأواني الفخارية، وتكمن ضخامة الدور الذي قامت به بالقياس إلى دور الرجل، هي السبب في إتباع النظام الأموي في كثير من
المجتمعات البدائية[1].

وهذا النظام كان سائدا بين سكان الهضبة القدامى ثم انتقل منهم إلى الآريين فيما بعد.

ومن المرجح أن المرأة استطاعت أن تتحكم في شؤون الجماعة وتمكنت بفرض وجودها وتمتعت بمكانة جعلتها تصل إلى أقوى المراكز، فقامت في بعض القبائل بقيادة الجيوش.[2]

في الحالة الاجتماعية والأخلاقية كان المجتمع الإيراني يتكون في هذا العصر من ثلاثة طبقات، طبقة عليا تتضمن الأمراء والحكام والوزراء والقادة والولاة على البلدان وكبار رجال الدولة والإقطاعيين، وطبقة وسطى تتضمن موظفي الدواوين وأوساط التجار والصناع ورجال القضاء.

وكانت الحياة الاجتماعية عند الفرس حياة ترف وتمتع بمباهج الحياة، معظمها مجالس غناء وطرب ومجالس الأدب وتقريب العلماء والشعراء[3].

و كانت الحياة الاجتماعية في إيران تقوم على عماد بين النسب والملكية، فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود المحكمة، وكان لكل فرد مرتبته ومكانة المحدد في الجماعة، وكان شائعا الزواج بين المحارم في الأسرة على أساس تعدد الزوجات، وكان وضع المرأة يشبه وضع الرقيق حيث بإمكان الزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها، كما شاعت عادة التبني للأولاد.[4]

من الناحية الدينية ذكرنا في قيام الدولة الفارسية أن مؤسسها هو كاهن بيت النار في مدينة "اصطخر" لذا أعلن عن الدين الزردشتي دينا رسميا للدولة منذ قيامها، وكان الإيرانيون قبل ذلك أحرار في اتخاذ ما يريدون ديانة لهم، وكانت لا تتبنى دينا محددا لها.

---

[1] - محمد أبو المحاسن، معالم وحضارات الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، س1997، ص268.

[2] - محمد أبو المحاسن، معالم وحضارات الشرق الأدنى القديم، ص268.

[3]- د. شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية-العراق-إيران)، د.ط، ص139.

[4]- الإمبراطورية الفارسية .(S://ar. m-wikipedia-org)

أما بالنسبة للزردتشية فلم يتمكن المؤرخون حتى هذا الوقت من تحديد وقت معلوم للعصر الذي وجد فيه أو المنطقة الجغرافية التي كان يعيش فيها من إقليم إيران أو اللغة الأولى، التي دو ن فيها كتاب "المجوس" المقدس "الأوستا"، وأخيرا اتفقوا على زمن تقريبي غير قطعي لوجود زردشت وهو في القرن السابع قبل الميلاد[1].

وعن المعلومات المتوافرة لدينا عن زردشت بسيطة وتتلخص في أنه صاحب أعمال خارقة وكان يحب العزلة لما بلغ 30 عاما أمر بتبليغ دعوته إلى الناس حيث دعا أهل "توران وسجستان"، إلا أنه فشل بسبب ثورة رجال الدين عليه مما دفعه للجوء لبلاط الملك كشتاسبملك "بلخ" الذي اعتنق الديانة الزردشتية مع وزيرة "جاماسب" الذي بسط حمايته على "زردتشت" مما يجعل عقيدته تنشر في كافة ارجاء إيران والهند وآسيا الصغرى، وبدأ بعدها زردشت الدفاع العسكري عن دينه الذي انتهى بسقوطه قتيل في ميدان القتال مع شعب الهون التوراني. والذي يظهر لنا أن زردشت الذي ادعى النبوة للمذهب "مزدى" ومعدل في الشرق حاول من خلاله تخفيض عدد الآلهة المعبودة في المجتمع الإيراني القديم، وتحديدها بإلهين اثنين فقط بل أن الآخر منهما أقل شأنا وسيهزم مسقبلا لا محالة أمام الإله الأول (إله النور) فيبقى العالم ضمن نفوذ إله واحد، في توجيه حميد نحو التوحيد وإن كان منقوصا.أما عن معتقدات الزردتشية، تقوم على ان العالم ناشئ عن أولين هما (النور والظلمة) وهما في نزاع دائم يتناوبان فيه الانتصار والهزيمة، فيما بينهما الأمر الذي دفع زردشت غلى تقسيم العالم إلى قسمين جبيش النور وجيش الظلمة، وهذان الأولان هما من أب واحد اختلف في تحديده بسبب عدم وصول آراء زردشتحوله، ولهذا انقسم المجوس حوله فمنهم من جعله المكان(أوشا) في حين اعتبره آخرون الزمان (زروان) غير أن الرأي الآخر هو الذي ساد في النهاية مما يفسره كثرة أسماء الأعلام المركبة مع كلمة زروان أيام الساسانيين.

وهناك مجموعة من الآلهة تساعد "أهوارا مزدا" تسمى القوى الخالدة وهي ستة آلهة:

1)- بهمن (الفكر الطيب) ومهمته حماية النار.

2)- أشاوهيشتا (خير الحقائق).

---

[1]- د- محمد خريسات وأخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، ص 130-131.

3)- خشترا ويريا (التسلط الحسن).

4)- آرمايتي (الخضوع).

5)- هوروتات (الصحة).

6)– اميرتات (الخلود).[1]

وتسمى هذه الآلهة في مجموعها (امش سينتان) وتليها كائنات مجردة تسمى "يزت" وعددها كبير، ويصل إلى ثلاثين، وتختص كل واحدة منها بيوم من أيام الشهرة وتقسم اليزتات إلى طبقتين: سماوية وعلى رأسها (أهوارا مزدا) وأرضية وأعظمها زردشت وتحمي كل يزت شيئا من مثل الشمس والأرض والقمر...الخ.

وقد أصبح الدين الزرادشتي المصدر الروحي للفرس منذ عهد "دارا الأول" واكتسب رجاله قوة وتأثيرا في الناس إلى درجة أن أصبح ملوك الفرس لا يقبلون على شيء إلا بعد استشارتهم، وتشير (الأفستا) إلى قرب نهاية العالم حيث تبين أن "زرداشت" ولد قبل نهاية العالم بثلاثة آلاف سنة، وسيظهر من بعده ثلاثة أنبياء من نسله ينشرون دينه في فترات متباينة ويبعث الأخير منهم حينما تكون الدنيا خرابا فتصلح الأحوال ببعثه ثم تنتهي الدنيا وتقوم القيامة، ويخلو الكون من أغراض الشيخوخة والهزال والموت إلى الأبد.

وبالإضافة إلى الأوستا يوجد هناك اليشتات وهي مجموعة الأدعية الموجهة للآلهة، ويشتات زردشتية أضافوها لليشتات القديمة.

إلا أن الزردشتية تعرضت لتحديات ضخمة من قبل حركات دينية وثنية أخرى تبنتها الدولة في فترة من فتراتها. ومن الملامح الفنية نذكر بعض الفنون التي تميزت بها بلاد الفرس، لم يعثر على آثار كافية توضح ما كانت عليه الفنون المختلفة التي سادت بين الإيرانيين القدامى، كما أن دولة الميديين كانت قصيرة الأجل فلم تساهم بنصيب وافر في حضارة الشرق، غير أنه يستدل من أقدم الآثار على أن سكان الهضبة في أقدم العصور، كانوا يدفنون موتاهم تحت أسفل المنازل ثم تحولوا عن ذلك إلى الدفن في جبانات بعيدة عن المدن، وكان الميت يدفن معه أثاث جنزي يتبين منه أنهم استعملوا الحلي وخاصة من الفضة والبرونز، إذ عثر على دبابيس تنتهي بأشكال تمثل رؤوس الحيوان وأساور وحلقات

[1]- د- محمد خريسات وأخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، ص 130-131.

وأحزمة يلبسها الرجل والنساء وخلاخيل من البرونز ومن الحديد أحيانا، كذلك ظهرت في رسوم الأواني الفخار عناصر جديدة غير تلك التي كانت شائعة فبدلا من الشمس وأبو منجل التي كانت تمثل في تلك الرسوم إلى جانب الزخارف الهندسية المألوفة، كانت الشمس والحصان هي العناصر السائدة[1].

مع أن الفرس هم الذين كانوا أقوى الإمبراطوريات لبلوغهم أرقى مرحلة حضارية فبرعوا في إقامة الأعمدة في عمارتهم، وتميزهم بالحس المرهف مما جعلهم يقدرون الفنون، فعشقوا فنهم.

ورغم قلة الجهود الأثرية في هضبة إيران فإن ما عثروا عليه من آثار حتى الآن يدل بوضوح على مهارتهم في فن العمارة والبناء، وقد اشتهرت بقاياها التي اكتشفت بروعتها الفنية بمقبرة كورش، (بزار جادة) مازالت رغم تهدمها تعد آية في الروعة والجمال، كما أن المقبرة "دارا الأول" في نقش رستم القريبة من "برسيبوليس" مازالت تعد من آيات الفن في العالم القديم. ومن أروع الآثار كذلك ما عثر عليه بقايا قصر (اكزركسيس) إذ تعد مجموعة المدرجات الحجرية والساحة الفسيحة وما بها من أعمدة شامخة من آيات الفن الفارسي القديم.

ومما يلاحظ أن القصر كان يقام عليه ساحة مرتفعة يرتقي إليها من أسفل الوادي بدرج خارجي يمتاز بالجمال، إلى درجة أن بعض علماء الآثار يعتبرونها أبدع الدرجات الموجودة في أية بقعة من بقاع العالم، ويبلغ ارتفاع الساحة ما بين عشرين وخمسين قدما وطولها نحوه 1500 قدم، وعرضها ألف قدم، وفي أعلى الدرجات يوجد المدخل وهو واسع تحف به تماثيل هائلة لثيران مجنحة برؤوس بشرية، التي كانت تزين مداخل القصور في بلاد ما بين النهرين، وبعد المدخل بقليل نجد مجموعة أخرى من الدرجات على جانبها، جدران قصيرة، نقشت بنقوش بارزة تعد من أجمل ما عثر عليه في إيران، وهي توصل إلى قاعة تلحق بها بعض الحجرات تشغل ساحة تزيد على مائة ألف قدم، هذا وقد أقيم قصر "اكزركسيس" الأول على 72 عمودا لم يبق منها إلا 13 فقط، مازالت قائمة بين حطام القصر، وتمتاز هذه الأعمدة المصنوعة من الرخام بأنها من قطع متصلة وكلها نحيلة دقيقة

[1]- محمد أبو المحاسن، معالم وحضارات الشرق الأدنى القديم، ص 283- 284- 285.

ويبلغ ارتفاع الواحد منها (64 قدما) وتشبه قواعدها الأجراس التي تغطيها أوراق الأشجار مقلوبة الوضع، وكان كل عمود ينتهي في أعلاه بشكل صدري ورأس ثورين أو حصانين يتصلان من الخلف وكانت جوانب الأبواب والنوافذ من حجر أسود لامع[1].

أما الجدران والحوائط فكانت مغطاة بآجر مصقول رسمت عليه صور زاهية تمثل حيوانات وأزهار وإلى الخلف هذه القاعة وشرقها قاعة عرفت باسم قاعة المائة عمود، لم يبق منها إلا عمود واحد.

ومن الملاحظ أن الفن الفارسي فقد اقتبس بصورة واضحة من فنون الدول التي خضعت لسلطان الإمبراطورية ولكنه قد طو رها حتى بلغت درجة الكمال، فمن المرجح أن الشكل الخارجي لمقبرة كورش متأثر بفن ليديا، أما أعمدتها الحجرية الدقيقة فيمكن مقارنتها بالأعمدة الآشورية، بينما كان بهاء الأعمدة الحجرية الدقيقة قليل البروز من الأمور المألوفة للدول الأخرى.

ومن أسباب التراجع والسقوط كذلك يذكر لنا أنه بعد وفاة "داريوس"، ثم تولى إبنه "زركيس" للحكم حتى عام 465 قبل الميلاد وكان "زركيس" ملك قاسي، ولكنه ضعف بعد هزيمته من قبل اليونانيين في الحروب الفارسية، على الرغم من أن الإمبراطورية استمرت لأكثر من قرن من الزمن، فقد بدت أضعف لأنها تواجه باستمرار مؤامرات واحتلالات واعتراضات من قبل الناس الذين كانوا مثقلين بالضرائب الباهظة.

وهزم "اسكندر الأكبر" الملك "داريوس الثالث" والجيش الفارسي في عام 330 قبل الميلاد. ثم اغتيل "داريوس" في وقت لاحق من قبل أحد إتباعه، على الرغم من أن " اسكندر" أبقى على النظام الفارسي للحكومة حتى وفاته عام 323 ق.م وتميزت هزيمة "داريوس" في عام 323 على النهاية بالسلالة الإخمينية والإمبراطورية الفارسية.[2]

كما تعرضت البنية الاجتماعية للكسر مرة واحدة ولم يعد هناك زعيم قوي وبدأ الناس في ظل الطبقة العليا، تقوم بتنظيم أعمال الشغب وغيرها من الإجراءات من الثورة ضد

[1]- محمد أبو المحاسن، معالم وحضارات الشرق الأدنى القديم، ص 285-287.
[2]- أسباب سقوط الإمبراطورية الفارسية -www. Olmarsol.com، ص25.

الحكام وأدى ذلك ذهاب الحكام ضد دينهم من خلال الأرواح الشريرة، وتميز الملوك بالجشع وبدأت سرقة ثروات البلاد بدلا من دفعها إلى الشعب[1].

من الناحية الفنية لم يعد الشعب الفارسي يتلقى الموارد اللازمة للبناء ونحت العمل الفني الجميل والمباني، وفي خريف هذا العام أصبح الإنتاج أقل بكثير من قطعة من عمل فني، ونحن اليوم لدينا فجوة في الفن الفارسي بسبب سقوطها، وأصبحت الضرائب الاقتصادية الفارسية أقل وأكثر قمعية مما أدى إلى الاكتئاب وانهيار الثورات الاقتصادية، الأمر الذي أدى بدوره إلى مزيد من القمع وفرض الضرائب الثقيلة والمتزايدة.

وبدأ ملوك الفرس أيضا في اكتناز الذهب والفضة بدلا من إعادة تدويرها وهذا خلق الاضطراب الاقتصادي دون ما يكفي من الذهب والفضة لممارسة الأعمال التجارية، ونتيجة لهذا الاضطراب الاقتصادي فقد حصلت الإمبراطورية على ملوك ضعيفة من الفرس.

من الناحية العلمية لم تكن هناك أي فرصة للتقدم العلمي حيث دخلت بلاد فارس في التعقيد نحو نهاية عصرها، وتعرضها للانخفاض في هذه التطورات بسبب إنتاج سلاحهم، مما أضر بالإمبراطورية وأدى إلى السبب الرئيسي في سقوطها[2].

الانحطاط والسقوط في عام "404 و330 " ما قبل الميلاد

كما يعرف أنه تحتاج أي دولة لحاكم قوي للتحكم في زمام الأمور بسلاسة، وبعد وفاة "زركسيس" عام "464،486" ما قبل الميلاد أصبحت الإمبراطورية الفارسية تفتقر إلى يد قوية ونتيجة لذلك، ظهرت المشاكل المختلفة التي تراكمت بعضها على البعض، وأدى إلى انخفاض بلاد فارس وبلوغها الخريف، حيث قادها الحكام الضعفاء في العديد من الثورات المحلية وخاصة في مصر التي كانت دائما تكره الحكم الفارسي.

وأصاب الضعف الإمبراطورية الفارسية، حيث شجع هذا "الإسكندر الأكبر" على غزو بلاد فارس التي غزاها في وقت قصير جدا، ومع جيش صغير بشكل ملحوظ ومع ذلك

---

[1]- د. نسيم واكيم البازجي، الحضارات القديمة الجزء الأول، دار علاء الدين، دمشق، ط1، ص 140.
[2]- د. نسيم واكيم البازجي، الحضارات القديمة الجزء الأول، ص 141.

نجا الفرس وأعادوا تأسيس إمبراطورتيهم في عهد سلالة الساسانيين في حوالي 200 قبل الميلاد[1].

وحوالي 650 قبل الميلاد، إلا أنها سقطت مرة أخرى على يد المسلمين العرب.

ومع ذلك نجت بلاد فارس ورجعت ثقافتها إلى العرب، وهكذا كانت الثقافة الإسلامية التي ظهرت في بلاد فارس ما بين النهرين وهي نهاية المطاف، وتم إحياء الإمبراطورية الفارسية مرة واحدة لحوالي 1500 تحت قيادة السلالة الصفوية وثقافتها وتقاليدها وتعيش اليوم في إيران الحديثة.

معلومات عن الإمبراطورية الفارسية:

تولى "سيروس العظيم" ملكا على (إنشان) بعد وفاة والده في عام 559 ق.م إلا أنه كان مثلا أسلافه في ظروف الحجم بالاعتراف المادي "بسيروس"، وفي عام 552 ق.م اندلعت المعركة بقيادة كورش وجيوشه ضد الميديين وألقي القبض على أكباتنا في عام 549 ق.م وتم قهر الإمبراطورية المتوسطة عمليا، وكذلك ورث "آشور" الذي هزم "كورش" في وقت لاحق بليديا وبابل وخلف "سايروس"، "قورشس" الذي يعتبر أول من اهتم بالإعلان عن حقوق الإنسان وكان أول ملك الذي لديه القوة العظمى.

وبعد وفاة "سايروس" حكم ابنه قمبيز الثاني لمدة سبع سنوات من 531 - 522 ق.م واستمر في استكمال عمل والده من الغزو، مما جعله يحصل على مكاسب كبيرة في مصر، وتبع ذلك صراع على السلطة حتى موت ابنه "قمبيز" وعلى الرغم من العلاقة الواهية مع البلاط الملكي أعلن الملك داريوس توليه الحكم في عام 522 – 486 ق.م.

وتحت قيادة "كورش العظيم" و"داريوس الكبير" أصبحت الإمبراطورية الفارسية في نهاية المطاف كأكبر إمبراطورية في تاريخ البشرية حتى هذه اللحظة.[2]

[1]- د. نقولا زيادة، تاريخ البشرية الجزء الأول، دار الأهلية، بيروت، ط1، س1981، ص201.
[2]- د. نقولا زيادة، تاريخ البشرية الجزء الأول، ص 201- 254.

الفصل الأول

(النظري)

مظاهر التأثير الفارسي في الشعر العباسي

المبحث الأول: مظاهر تأثر العباسيون بالفرس.

1. تأثر العباسون بالفرس من حيث الحضارة:

تأثر العباسيون بالحضارة الفارسية وبذخها، فظهر بناء القصور الفخمة والتأنق في أنواع الطعام والشراب والملابس والأثاث والحدائق والبرك، وغير ذلك من الأمور التي قلد فيها العرب الفرس وكذلك انتشار دعوات دينية غريبة على المجتمع العربي مثل الزرادشتية والمانوية والمزدكية، كما ظهرت الزندقة التي تعرف بالتحلل الديني والخلقي.

وهذا يعني إن المجتمع العربي أو العباسي كان منحلا بل، اقتصر على طبقات وفئات محدودة من المجتمع العربي.

2. أسباب نهضة الشعر في العصر العباسي:

الامتزاج مع الأمم الأخرى وامتداد علاقات التأثير والتأثر، واسهم هذا في نمو اتجاهات شعرية جديدة، تحاول التمرد على البناء التقليدي، كما أدى إلى ظهور المفردات الفارسية في الشعر العباسي نتيجة للامتزاج القوي فيما بين العنصرين العربي والفارسي[1].

كما تأثر الأدب العربي في العصر العباسي بعدة موضوعات منها أدب الحكمة والسلوك، وهي حكمة الملوك أو وصايا العظماء أو حكايات خلقية عامة تمت بصلة إلى السياسة وهي متأثرة بأدب النصائح الإيرانية والفارسية[2].

3. انتشار الأفكار والعادات في المجتمع العباسي:

كان من أثر انتشار بعض النظم والأفكار والعادات الأجنبية في المجتمع العباسي، وسيطرة العناصر غير العربية على شؤون الدولة فترة طويلة من الزمن وعملها على ترويج كل ما يمت إلى حضارتها بسبيل أن تفتحت آفاق الناس والشعراء على حياة جديدة وألوان من الحضارة لم يكونوا قد ألفوها في عصورهم السابقة، وافتتن الناس ما هو أجنبي وكان من الطبيعي أن يتأثر الأدب والشعر بما طرأ على البيئة والمجتمع من تغير[3].

---

[1]-مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في العصر العباسي، WWW.startimes. com، ص 20.

[2]-د.محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار النهضة، مصر، دون، ط، س1998، ص21.

[3]- د.عثمان موافي، التيارات الأجنبية في الشعر العربي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، ص331.

وتطور فأصبح ميل الشعراء إلى أن يبعثوا في النفوس ما يرفعها إلى آفاق الحياة القوية أقل من ميلهم إلى ألباب الناس بمادة جديدة للأدب بمعان دقيقة، وعبارات وأخيلة جميلة.

وتوقظ في الناس في الناس ميل الى الطرائف المستحدثة، وعاد الأدب مرة أخرى إلى كشف ما يحيط بالإنسان في حاضره، وأصبح يلذ له البحث فيما حوله من حياة متشعبة النواحي، وكان من الطبيعي كذلك أن تحتل المعاني مكانة كبيرة في شعر أقصى غايته والبحث عن كل جديد مستطرف وهذا يفسر امتداح النقاد العرب للشعراء المحدثين من أمثال (بشار وأبي النواس وإضرابهما بأنهم أتوا بمعان ما مرت قط بخاطري، جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي وقد ترتب عن هذا تيقظ حواس الشعراء، ونفاذها إلى باطن الأشياء محاولين بذلك الكشف عن خصائصها وأسرارها الدقيقة، وكانت وسيلتهم إلى ذلك التصوير وهذا شيء جديد لم يألفه شعراء العرب الأولين، أوان شئت فقل أنهم لم يتوسعوا فيه توسع العباسين، فقد كان الشعر عندهم فنا لغويا أداته الألفاظ وقد اتصل العرب بشعوب أخرى تختلف عنهم اختلافا واضحا في الثقافة والفكر، وكان لكثير منهم فنون غير الفنون الكلامية كالتمثيل والتصوير، ولما آل الأمر إلى هذه الشعوب في عصر العباسي "وأصبحت هي القابضة على زمام الفن الأدبي، زاد الشعر التصويري زيادة كبيرة".

وهذا يبين لنا كيف كان باب الوصف في حماسة أبي تمام، وأكثر هذه المختارات كما هو معروف من الشعر القديم في العصر الجاهلي والإسلامي. وهذا عكس ما يلاحظ في شعر المحدثين من الإكثار في الوصف حتى يخيل للمتصفح لشعرهم أنهم وصفوا كل شيء وقعت عليه أعينهم ونفذت إلى باطنه حواسهم ومشاعرهم على أن الوصف كان معروفا عند العرب ولكنهم كانوا يتناولون فيه ما يتصل بالبادية والذي استحدث في العصر العباسي هو وصف أشياء استحدثتها عن بيئتها أجنبية من الفرس خاصة التي كان لها دور كبير لبروز الشعر العباسي المتأثر بثقافة غيره[1].

[1]- د.عثمان موافي، التيارات الأجنبية في الشعر العربي، ص331.

وتنوعت مصادر الثقافة والمعرفة أمام الشعراء فقدم لهم علماء اللغة مادة وافرة، ووجدوا أمامهم كثير من الدواوين لشعراء العصور التي سبقتهم لاسيما الجاهلية، كما وجدوا بغيتهم في المجموعات الشعرية وأفادوا من المناظرات بين العلماء فنقلوها إلى أشعارهم، فناظروا بين الأزهار وتسللت مصطلحات الفلسفة إلى أشعارهم وتمثلوا أسرار اللغة والبلاغة، وانفتحوا على ثقافة العصر مما كان له أكبر الأثر في تطور الشعر وازدهاره[1].

4. أثر الأفكار والعقائد في الشعر العباسي:

لم يشهد العصر الجاهلي ولا عصر صدر الإسلام ولا العصر الأموي مجونا فاضحا مكشوفا مثلما شهد العصر العباسي، فقد طالعتنا فيه جماعات من الشعراء المجان، وهم يدوسون على الفضيلة التي صارعت على مذبح اللهو والخلاعة والمجون، بشار بن برد وأبي النواس وغيرهم ممن خلع ثوب الوقار والعفة والحياء، والحقيقة أن المجون في الشعر العباسي أصبح غرضا مستقلا بذاته، سجل الشعراء فيه كل ما تعارف عليه المجتمع العباسي ولاسيما العناصر غير العربية كالفرس الذين خرجوا على كل القيم والمثل العربية والإسلامية، وكان أغلب الشعراء المجان من تلك الأقوال الذين لم يكن لهم يردعهم ولا خلق ولا أدب، يقول أبو نواس:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهـر

فبح لي بمن أهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

وهو القائل:

يا أحمد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعص جبار السموات[2]

ويقول مطيع بن إياس:

اخلع عذارك في الهوى واشرب معتقـة الدنـان

وصل القبيـح مجاهـرا فالعيش في وصل القيان

[1]- فوزي عيسى، في الشعر العباسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، س2008، ص14.
[2]- مجلة الرافد، العدد 9، س2011، ص13.

وهناك مئات الأبيات على هذه الشاكلة، وربما دواوين كاملة مملوءة بمثل هذا المجون والخلاعة والتهتك.

إن استقراء شعر الشعراء المجان في العصر العباسي، كفيل بأن يقرر أن مجونهم لم يكن ساذجا أو بسيطا، ولم يكن صادرا عن عاطفة إنسانية بريئة، بل كان صادرا عن عقيدة استمدت أفكارها من وحي العقائد الغالية الهدامة أمثال المانوية والمزدكية والفارسية الزندقة الشعوبية التي أباحت المحرمات واتخذت من اللهو والمجون والعبث والإباحية وشرب الخمرة طريقا لإشاعة الفساد وإضعاف سلطان الدين في النفوس وبالتالي النيل من العروبة والإسلام، كما ظهر التغزل بالغلمان لأول مرة في تاريخ الشعر العربي ولاشك أنه كان أثرا من آثار تلك العقائد المنحرفة التي نشأت في بلاد فارس وتسربت منها إلى البلدان المجاورة.

والحقيقة التي لا تقبل الشك أن الأقوال من غير العرب الذين اختلطوا بالعرب في العصر العباسي والذين ظلوا متأثرين بعقائد المجوس وأفكارهم، هم الذين يقفون وراء تلك الموجة العارمة من الفساد وشيوع الخلاعة والإباحية التي شهدها العصر العباسي ولاشك أن هنالك بواعث أخرى كان لها الأثر الفاعل في مجون الشعر والشعراء في العصر العباسي، ولعل من أهمها:

1- الباعث الحضاري.
2- الباعث الاجتماعي.
3- الباعث الفكري والعقائدي[1].

والحقيقة التي لا تقبل الشك أن الفرس ولاسيما الذين ظلوا متأثرين بعقائد المجوس وديانتهم القديمة هم وراء ذلك الفسق والفجور والتهتك والمجون كله، سواء كان ذلك بتأثير عاداتهم وتقاليدهم السيئة التي انتشرت انتشارا واسعا في العصر العباسي[2].

المبحث الثاني: شعـراء القـرن الثـالث

[1]- مجلة الرافد، العدد 9، س2011، ص13.
[2]- المرجع نفسه، ص13.

يعد القرن الثالث من أزهى القرون التي ازدهر فيها الشعر العربي فقد أنجب هذا القرن كوكبة من أبرز الشعراء العصر العباسي أمثال أبي تمام والبحتري وابن الرومي وأبو الطيب المتنبي، وبرغم الدراسات العديدة التي تناولت شعر هؤلاء الشعراء فإن أشعارهم مازالت بحاجة إلى قراءات أخرى.

كما تنوعت مصادر الثقافة والمعرفة أمام الشعراء، فقدم لهم علماء اللغة مادة وافرة ووجدوا أمامهم كثيرا من الدواوين لشعراء العصور التي سبقتهم لاسيما ثقافة العصر مما كان له أكبر الأثر في تطور الشعر وازدهاره. وفي هذا المبحث حاولت أن ألم ببعض الظواهر التي رأيناها في شعرهم وتأثرهم بالمصطلحات اللفظية الفارسية وتأثرهم بالحياة الاجتماعية في ذاك العصر بل نواحيها وجوانبها وذكر بعض القصائد التي اشتهر بها هؤلاء الشعراء.

من الأطر السياسية والاجتماعية والفكرية التي عاش الشعراء في أجوائها، وقد بدأت بأبي تمام كونه قد عاش الشطر الأكبر من حياته في هذا القرن فوقفت على ثقافته ومذهبه الشعري وبعض مدائحه وشعره الذي صور فيه في فن الوصف وكذلك الوقوف عند شعر ابن الرومي وقصائده[1].

واحتفيت كذلك بقراءة على مذهب وشعر المتنبي وثقافته التي لا تقتصر على الابتكار والتجديد دون أن ننسى الأسلوب الذي تظهر فيه عظمته في محاسن شعره.

فقد نشطت الحياة العلمية في هذا القرن وازدهرت حركة الأدب وتوسعت ميادين الثقافة مما كان له أكبر الأثر في التكوين الثقافي للشعراء.

كما يعد هؤلاء الشعراء الثلاث من أمراء الشعر المولد[2].

1) ابن الرومي:

[1]- د. فوزي عيسى، في الشعر العباسي، ص2.

[2]- د. أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت ، ط2، س1969، ص100.

هو أبو الحسن علي بن العباس ولد سنة(221هـ- 837م) هو شاعر مجيد وعلم من أعلام القريض في القرن الثالث هجري، ويعد في الطبقة الثالثة من شعراء المحدثين، أمه تنحدر من عنصر فارسي وأبوه ينحدر من عنصر روماني، يحتفظ بطبيعته الشاعرية ويعتز به طول حياته وكان شابا جميلا قوي الملكات مزودا بشتى ألوان الثقافة من بينها العربية والفارسية، وكان يسمع ويرى حياة الترف التي يحيا في عصره كثير من الناس فتمنى لنفسه حظا من النعمة فلم يحظ بشيء منها، وهو الشاب الذي ذاق ألم اليتم بعد وفاة أبيه وأخيه وأمه، كان شديد السخط على الناس فأمطرهم وابلا من أهاجيه التي بغضته الى الناس وزادت من آلامه في الحياة.

توفي سنة (283هـ- 896م).

أ) شعره وشاعريته:

الغريب أن ابن الرومي مع علو كعبه في الشعر لم يذكره صاحب الأغاني ولا ياقوت ولا الانباري، وقد خصه ابن النديم في الفهرست بكلمة وجيزة ذكر فيها أن شعره كان على غير الحروف رواه عنه المسيب ولا الأنباري، ويميل نقاد العصر إلى القول بالوحدة في قصائد ابن الرومي كقولهم، فقصيدته قطعة مؤلفة تأليفا منطقيا فنيا لا عوج فيها ولا ضعف ولا ميل إلى الاستطراد، له دقة الملاحظة والإحساس وعمق الشعور بالمنتقضات في نفسه وفي زمنه، فولدت في نفسه روح السخرية وأشاعت في فنه هذا اللون الجيد من ألوان الشعر والشعور، وهو فن الهجاء الذي امتاز به الشاعر وأجاده حتى حين يهجو من لم يؤذه بشيء، ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ، كان بديع المعاني كثير الاختراع والتوليد فيها[1].

ب) مذهبه الشعري:

[1]- د. أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص630.

يرى د. محمد زغلول سلام أن ابن الرومي لا يقف مع أحد من شعراء عصره في اتجاهه الفني، فهؤلاء يذهب مذهب أبي تمام أو البحتري يندرج ابن الرومي في دائرة الشعراء المطبوعين، وهو يميل إلى الأسلوب السهل وكثيرا ما ينجح إلى الاطالة حتى تربو بعض قصائده، فبلغت مقدمة قصيدة المدح عنده مائة بيت ولم ينقح قصائده وكان ينظم القصيدة مهما طالت في فترة وجيزة كان ينظم قصائده على الثلاثمائة بيت، له مقدرة فائقة على التقاط الصورة وتسجيلها بألفاظ مناسبة سهلة قريبة، مقدرة لغوية فلغته قريبة لا تكلف إذ يشعر القارئ بأنها طيعة بين يديه لا تعصاه، تنساب مع فكره وخيالاته ومعانيه انسيابا، وقاموسه اللغوي من جارى الكلام عصره مع فصاحة ونقاء، أقرب إلى لغة الكتاب، ولهذا قالوا غنه يبني قصائده بناء الرسائل.

واعتمد ابن الرومي على تفتيق المعاني وتوليدها واعتصارها اعتصارا يستنفدها ويمتصها فلا تبقى منها بقية، وقد التفت ابن الرشيق إلى هذه الصفة فيه فقال: "كان ابن الرومي ضنينا بالمعاني حريصا عليها يأخذ المعنى الواحد ويولده، فلا يتركه حتى يقلبه ظهر البطن ويصرفه في كل وجه، والى كل ناحية حتى يميته ويعلم أنه لا مطمح فيه لأحد".

ورأى ابن الرشيق أن ابن الرومي كان أكثر الشعراء اختراعا للمعاني.

وذهب المرزباني إلى أن ابن الرومي اشهر أهل زمانه بعد البحتري وأكثرهم شعرا وأحسنهم أوصافا وأبلغهم هجاء وأوسعهم في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه، يركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره، ويلزم نفسه ما لا يلزمه، ويخلط كلامه بألفاظ منطقية يحمل لها المعاني ثم يصفها بأحسن وصف وأعذب لفظ وهو في الهجاء مقدم، لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره[1].

ويمكن أن نوجز مذهب ابن الرومي الشعري في النقاط الآتية:

[1]- د. فوزي عيسى، في الشعر العباسي، ص631- 632.

- تفتيق المعاني وتوليدها، فإذا تناول معنى استقصاه حتى لا يترك منه شيئا.
- الغوص على المعاني والقدرة على الاختراع والابتكار.
- ركوب المعاني الصعبة التي يصعب على غيره تناولها.
- خلط كلامه بألفاظ منطقيه واعتماده على الجدل والمناظرات الشعرية.
- الإسراف والاستطراد مما جنح به إلى الإطالة.
- السهولة التعبيرية.
- نقاء اللغة من الألفاظ الغربية.
- الجنوح إلى النثرية حتى تقترب بعض قصائده من شكل الرسالة النثرية.[1]

- قال في وصف الأحدب:

قصرت أخادعه وطال قذا له فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنمــا صفعــت قفـــاه مرة فأحس ثانية بها فتوجعا

- كان ابن الرومي ملازما للحسن والقاسم ابني عبيد الله بن سليمان في وزارة أبيهما، فيقال إن ابن الكاتب احتال عليه بشيء أطعمه إياه بأمر القاسم بن عبيد الله وكان سبب موته لهجائه ابن فراس[2].

-وقول ابن الرومي في وصف النرجس وهي زهرة خضراء اللون كان يقدسها الفرس بقوله:

يلدبـــذا النرجس ريحانـــه لأ نفـــه غبوق و مصبـــوح

[1]-د. فوزي عيسى، في الشعر العباسي، ص 632.
[2]- د.عون عبد الروضان، موسوعة شعراء العصر العباسي، دار أسامة، ط3، س2009، ص34-35.

كأنه من أطيــب أرواحــه ركب من روح ومن روح
أبدى وجوها غير مقبوحــة في زمن ليس بمقبوح
يا حسنه في العين يا حسنه من لامح للشر بملمـوح[1]
لو شاهد الـورد أحايينــه لم تورد ا غير مطروح[2]

ج- مختارات من شعر ابن الرومي:

قوله في مدحه على بن المنجم:

شاب رأســي ولات حين مشيب وعجيب الزمان غير عجيب
قد يشيب الفتــى وليس عجيبا أن يرى النور في القضيب الرطيب
سلبت إن رأت حبيبـــبا إليـــها ضاحك الرأس عند مفارق شيب
فدعته إلى الخضـــاب وقالــت إن دفن المعيــب غيــر معيب
خضبـــت رأســـه فبات يتبريح وأضحـــى فظــــل فـــي تأنيب
ليـــس ينفـــك مـــن ملامـــة زار قائل بعـــد نظرتــــي مستريـــب
ضلـــة ضلــــة لمــــن وعضتـــه غيــر الدهـر وهو غيـر منيــب
عاجــز واهـــن القـوى يتعاطـــى صبغة الله فـي قنـــاع المشيـــب
رام إعجـــاب كـل بيضـــاء خـود بســـواد الحضـــاب ذي تعجيـب
فتضاحكــــن هازئـــات ومـــاذا يونق البيض من ســواد حليـــب
يا حليف الخضاب لا تخدع النـفس فمـــا أنـــت للصبا مـــن نسيـــب
فاتخـــذه علـــى الشبـــاب حـــداد وابـــك فيـــه بعيـــرة ونحيـــب[3]

2) أبو تمام:

[1]- د.عثمان موافي، التيارات الأجنبية في الشعر العربي، ص348.
[2]- د.عثمان موافي، التيارات الأجنبية في الشعر العربي، ص348.
[3]- د.عون عبد الروضان، موسوعة شعراء العصر العباسي، ص35.

هو حبيب بن أوس الطائي ولد بقرية جاسم من أعمال دمشق سنة 190 هـ على الأرجح الأقوال، وزعم بعض القدماء والمحدثين أن أباه كان نصرانيا اسمه(تدوس) وحرفه إلى (أوس) وانتسب في طيء ولكن الرواة الثقات يذهبون إلى أنه طائي صليبة ويشهد لذلك فخره المضطرم بطيء، وانه اختار منها أكثر ممدوحيه، ونوه تنويها عظيما بمن سجلوا لها في عصره أمجادا حربية، مما يدل على أنه طائي عريق وعربي أصيل فتنشأ نشأة متواضعة مع أسرته في دمشق، تلقى العلم في مصر، كان واسع الثقافة، عميق المعرفة حتى قال عنه الحسن بن رجاء "ما رأيت أعلم بكل شيء منه" إن لفظه لفظ الإعراب.

توفي سنة 230 أو 231.

أ- شعر أبي تمام:

شعره موضوعه مختلف حيث يستخدم التأبين في السياق المدح وقد يعثر في ابتداءاته على معنى ظريف ويحتذي عليه لأنه كان مولعا بغرائب الألفاظ والمعاني كقوله:

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل   وابلل غليلك بالمدامع يبلل

فقد خالف العادة التي جرى عليها الشعراء بالوقوف ولا يكادون يذكرون نزوة.[1]

ويحتوي شعره بافتتاحات غزلية جميلة كقوله:

لا أنت ولا الديار ديار   خف الهوى وتولت الأوطار

كانت مجاورة الطلول وأهلها   زمنا عذاب الورد وهي بحار

وتتضمن مقدمته وصفا جميلا كوصفه للخمر والطبيعة والربيع، كان حاضر البديهة وكان على استعداد دائم للرد على خصومه ومناويئه في المجالس العامة أو الخاصة إذا أرادوا التعرض له[2].

ب- مذهبه الشعري:

[1]- د. فوزي عيسى، في الشعر العباسي، ص 21.

[2]- د.عون عبد الروضان، موسوعة شعراء العصر العباسي،ص33.

يتفق القدماء والمحدثون على أن أبا تمام كان صاحب مذهب شعري عرف به وقد أشار إلى ذلك أبو بكر الصولي فقال عنه هو رأس في شعر مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه، حتى قيل مذهب الطائي وكل حاذق بعده ينسب إليه ويقتفي أثره، ويفهم مما رواه الآمدي أن مذهب أبا تمام يقوم على غموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يورد مما يحتاج استنباط وشرح استخراج، ويتفق المحدثون على طريقة مذهبه الشعري فيراه د.شوقي ضيف أهم شاعر يمثل مذهب التصنيع في القرن الثالث الهجري، فقد انتهى المذهب عنده إلى الغاية التي يرنو إليها شعراء العصر العباسي من الزخرف والتنميق، وقد شرح أبو تمام مذهبه الشعري وأبان عن طريقته التي سلكها في مواطن كثيرة من شعره، فيصف قصائده بأنها "ابنة الفكر المهذب" وذلك في قوله:

خذها ابـ نـ ة الفكر المهذب في الدجى   و الليل أسو د رقعة الجلباب

ويشير إلى مذهبه في الإتيان بالمعنى الجديد والصور المبتكرة والقوافي الشاردة فيقول:

تلك القوافي قد أتينك نزعا   تتجشـم التهجيـر والتغليـسا

من كل شاردة تغادر بعدها   حظ الرجال من القريض خسيسا

ت- مختارات من شعر أبو تمام:

قوله في مدح محمد بن عبد الملك الزيات:

ديمـة سمحـة القيـاد سكـوب   مستغيث بهـا الثرى المكروب

لو وسعت بقعة لإعظام نعمى   لسعـى نحوهـا المكان الجديب

لذ شؤبوبها وطـاب فلو تستط   يـع قامـت فعانقتـها القلـوب

فهـي مـاء يجري ومـاء يليـه   وغزالي تهمـي وأخرى تذوب[1]

كشف الروض رأسه واستشر   المحل منها كما استسر المريب

---

[1]- د. فوزي عيسى، في الشعر العباسي، ص 24-30.

فإذا الرِّي بعد محل وجرجا ن لديها يبرين أو ملحوب

أيها الغيث حي أهلا بمغدا ك وعند السرى وحين تؤوب

لأبي جعفر خلائق تحكي هن قد يشبه النجيب النجيب

أنت فينا في ذا الأوان غريب وهو فينا في كل وقت غريب

ضاحك في وائب الدهر طلق وملوك يبكين حين تنوب [1]

3) أبو الطيب المتنبي:

هو أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الكندي الجعفي الكوفي المعروف بالمتنبي ولد سنة (303هـ- 916م) بالكوفة في مجلة تسمى كندة، فنسب إليها، وليس هو من قبيلة كندة المشهورة، بل هو جعفي القبيلة، وقيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادئ الأمر وتبعه خلق كثير حتى سجن وتم إطلاق سراحه، وعاش في ضيق طول حياته.

كان يتردد بالبادية التي تسمى السماوة وإقامته زمنا بين أعرابها ويستنتج من مختلف الرواة أن تردده كان أولا إلى بادية الكوفة، ثم انتقل وهو حوالي السابعة عشر من عمره إلى بلاد الشام وفي هذا الطور من حياته شيء من الغموض إذ لا نراه مستقرا في مكان خاص، فتارة في المدن وطورا بين قبائل البادية يمدح بعضا من ذوي النفوذ، عاش ناقما ثائرا.

توفي سنة (354هـ- 966م) مقتولا في شهر رمضان.

أ- شعر المتنبي:

لقد صاغ أبو الطيب المتنبي شعره صياغة فنية تتجلى فيها روح القوة والحرية والحياة وقوة التعبير سمة من سمات أبو الطيب نجدها في ألفاظه وأساليبه كما نجد في معانيه، وقد أفاضت روح القوة في نفس الشاعر على شعره وفنه وحرية التعبير، كما تظهر في شعره سمة أخرى لها أثرها، روح العمق والقوة وروعة التعليل ودقة المحسنات البديعية والصور

---

[1]- المرجع نفسه، ص 30.

البيانية، ويعبر عن عواطفه ويطرد مع روحه وشخصيته وأمانيه، يرسل القصيدة إرسالا لا يبالي بنقد النقاد. كقوله:

أنام مـ ل ء جـ فـ وني عن شو اردهـ ا و يسهر الخلق جراها يختصم[1]

كان شعره مثلا رائعا للحياة القومية في عصره، وصورة بارزة للحياة الفكرية والأدبية، ثم كان فيه تصوير للنزاع بين المثل العليا والحقائق الواقعية.

وشعره فوق ذلك تصوير بارع لحياة الشاعر نفسه، بما كان يختلج في صدره من طموح إلى المجد وثورة على نظم السياسية والاجتماع ودعوة إلى الفضاء على مظاهر الضعف فيها، أبو الطيب المتنبي رائع في رثائه كما هو في مدحه وفخره وهجائه ووصفه وحكمته.

ويبلغ وصفه مبلغ الروعة والقوة حين يصف به معارك القتال وحومات الوغى وروح البطولة واضحة من قصائده لاسيما في الفترة التي قضاها في بلاط سيف الدولة.

ب- مذهبه الشعري:

لابد من الإقرار بداية أن المرء لا يصير أديبا لمجرد أنه قرأ وحصل، فالأدب يعتمد بشكل رئيسي على الموهبة التي تسير جنبا إلى جنب مع الثقافة والتمرين المستمر واحتذاء المنهج نفسه من عرض الفكرة الجديدة، فكان ذهبه صناعة الكلام نظما وشعرا وإنما هي الألفاظ في المعاني، والمعاني المطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وإنما الشأن عنده في إقامته الوزن وتخير اللفظ.[2]

ث- مختارات من شعر المتنبي:

بعض مدائحه في كافور:

كفى بـ ـك داءأن ترى المو ت شافيا وحسـب المنـايا إن يكـن أمانيـا

تمنيتهـا لمـا تمنيـت أن تـرى صديقـا فأعيـا أ و عـدو ا مداجيـا

إذا كنـت ترضـى أن يعيـش بذلـة فـلا تستجيـدن العتـاق المذاكـي

[1]- د. محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، س2004، ص235.

[2]- د. فاروق حسان، ثقافة المتنبي، دار العلم والإيمان، بيروت، ط1، س2008، ص31.

فمـا ينفـع الأسـد الحياء من الطوى ولا تتقــى حتــى تكــون ضــواريا

حببتـــك قلبـــي قبـل حبك من نـأي وقـد كـــان غـدارا فكن أنت وافيا

واعلـم إن البيـــن يشكيـــك بعـــــده فلســت فـؤادي إن رأيتـك شاكيـا

فـــإن دمـــوع العيـــن غـدر بربهـا إذا كنـــا إثـــرا لغادريـن حواريـا

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

وللنفـس أخـلاق تـدل علـى الفتـــى أكـان سخـــاء ما أتـــى أم تساخيـا

أقـل اشتياقــا أيهـــا القلـب ربمـــــا رأيتك تصفي الود من ليس صافيـا

خلقـت ألوفا لو رجعـت إلى الصبى لفارقت شيبي موجـع القلـب باكيـا

ولكـــن بالفسطـــاط بحـــرا أزرتـــه حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا إليـــه وذا اليـــوم الـذي كنـــت راجيا

هي أولى قصائده في مصر وكان كافور قد تلقاه بحفاوة وحمل إليه آلافا من الدراهم.[1]

نستنتج أن حديث الشعراء العباسيين عن الازدهار واهتمامهم بوصفها في أشعارهم على النحو الذي رأيناه في الشعر العباسي كان في الحقيقة صدى قويا باهتمام كثير من الناس في هذا العصر ولوعهم بها، وهذا الاهتمام والولوع بالأزهار لم يؤثر على العرب، وإنما أثر على غيرهم من الأمم المجاورة لهم كالفرس الذين اشتهر بحبها وتقديسهم لبعضها، وعلى الرغم من أن طبيعة أرضهم، بما فيها من جذب ورياح وتربة صحراوية لا تتلاءم في الفلاحة، وقد اهتموا بهذا النوع من الزراعة وأولوه عناية خاصة، وقد جاء هذا الاهتمام نتيجة لبعض المعتقدات الدينية، فقد تخيلوا الحديقة صورة مصغرة للجنة تحشد فيها أصناف الأزهار المختلفة وتجري فيها الأنهار والقنوات على شكل أنهار عدن الأربعة.

[1]- د. أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص374.

ولاشك أن الروضة العباسية تلك التي رأينا لها صورا في الشعر بما حشد فيها من زهور عديدة أكثرها فارسي، قد تأثرت هندستها بهندسة الحدائق الفارسية، فهناك تشابه كبير بينهما في ذلك.[1]

[1]- د.عثمان موافي، التيارات الأجنبية في الشعر العربي، ص347.

الفصل الثاني

(التطبيقي)

الأثر الفارسي في شعر البحتري

المبحث الأول: عصر البحتري ونشأته:

1) شخصية البحتري:

قال الثعالبي في كتابه (برد الأذكياء) إن أبا القاسم الإسكافي قال: استظهاري على البلاغة بثلاثة: القرآن الكريم وكلام الجاحظ وشعر البحتري.

فشعر البحتري إذا مصدر من مصادر البلاغة الرئيسية بعد القرآن الكريم وكلام الجاحظ، غير أن البحتري على بلاغته تلك كان ابن عصره تأثر به وبحضارته الفارسية.
والبحتري (204- 284هـ) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد، طائي الأب شيباني الأم، غلب عليه لقب البحتري نسبة الى عشيرته الطائية بحتر. كان رث الهيئة قذر الملبس من أبغض الناس إنشادا، ثريا وبخيلا، متكسب بالشعر، يحب المال، متقلبا في دينه، فهو قدري معتزلي في أيام الواثق، ثم نزع عنه في، أيام المتوكل متفائلا، حسن الظن بالأيام. يجب الاستمتاع بالحياة والتنعم بلذاتها مما جعله لا يرى إلا الجوانب الإيجابية في عصر ا امتلأ بالشرور والمثالب، كثير الشرب، يعشق الجمال عميق الإحساس بالإنسانية، رقيق الطبع، جميل الذوق، ذكي لكنه استخدم ذكاءه لمصلحته الشخصية المادية، يكره العنف، كان انتهازيا معجبا بنفسه وبشعره.[1]

كان مشايخا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء، وله تصرف حسن فاضل نقي في ضروب الشعر سوى الهجاء، فإن بضاعته فيه ثروة وجيده منه قليل، وكان ابنه (أبو الغوث) يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به وقال له: اجمع كل شيء قلته في الهجاء ففعل، فأمره بإحراقه ثم قال له: يا بني هذا شيء قلته في وقت فشفيت به غيظي وكافأت به قبيحا فعل بي وقد انقضى أزلي في ذلك وإن بقي روى وللناس أعقاب، يورثونهم العداوة والمودة، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك ومعاشك لا فائدة لك ولا لي منه.[2]

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، 2011م-1432هـ، العدد 26، ص119.
[2]- محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص119-199.

قال: فعلمت أنه قد نصحني وأشفق علي فأحرقته والذي وجدناه وبقي في أيدي الناس من هجائه فأكثره ساقط لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه وتنبأ بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه في الهجاء وكان البحتري يتشبه بأبي تمام في شعره ويحذو مذهبه وينحوا نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله ويراه رائدا وإماما، يقدمه على نفسه ويقول في الفرق بينه وبينه قول منصف: إن جيدا أبي تمام خير من جيده ووسطه خير من وسط أبي تمام وردية: وكذا حكم هو على نفسه.

وحدث البحتري قال: قال أبو تمام، بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به فأنشدني، فأنشده بعض ما قلته فيهم فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت كذا وكذا، فقال: ظلموك والله ما وفوك حقك، فلم أستكثر لك لما دفعوه إليك، والله لا بيت منها خير مما أخذت،[1]

ثم قال: لعمري، لقت استكثرت وأستكثر لك لما ومات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم فكسدت سوق الأدب، أنت والله يا بني أمير الشعراء، إذا بعدي **!**فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت له: والله لهذا القول أسر لقلبي وأقوى لنفسي مما وصل من القوم.

وفي نهاية أيامه رثى البحتري أحد أصدقائه بقصيدة عدها خصومه من باب الزندقة

وإنه يذهب مذهب الفرس في التنويه قوله:

أرى علل الأشياء شتى ولا أرى   التجمع إلا علة التفرق[2]

2) مذهبه الشعري:

أ) مذهبه السياسي:

فمن الطبيعي أن يكون عباسيا وقد توهم الأستاذ مرغو ليوث في الأبيات التالية:

يا ضيعة الدنيا وضيعة أهلها   والمسلمين وضيعة الإسلام

هذا ابن يوسف في يدي أعدائه   يجزي على الأيام بالأيام

نامت بنو العباس عنه ولم تكن   عنه أمية لو رعت بنيام

---

[1]- محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص199.

[2]- د. عبد عون الروضان، موسوعة شعراء العصر العباسي الأول، ص80.

والشاعر يتمنى رجوع بني أمية، والحقيقة أن هذه الأبيات قيلت وقد سلم محمد بن يوسف الثغري لكاتب نصراني وأمر بتعذيبه، فشق على الشاعر أن يرى مسلما كبيرا تحت يد كاتب نصراني، وقال هذه الأبيات بدافع الغيرة محاولا أن يستقر شعور القوم لتخليص الرجل، وليس في هذه الأبيات أدنى صبغة سياسية.

ب) خصائصه الشعرية:

أجمع نقدة الشعر القدماء على وصف البحتري بسلاسة العبارة وحسن الديباجة وهناك بعض الآراء من كبار الأقدمين فيه:

قال الثعالبي: " يضرب به المثل لأن الإجماع واقع على أنه في الشعر أطبع المحدثين والمولدين، وإن في كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة، ويقال أن شعره كتابة معقودة بالقوافي"

قال ابن الرشيق: "وأما البحتري فكان أملح صنعة (من أبي التمام) وأحسن مذهبا في الكلام يسلك فيه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة". قال ابن الآثير وهو يصفه: " فإن مكانه من الشعراء لا يجهل وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريبا ضوؤها بعيدا مكانها.

والفتاة لينا مسها خشنا سنانها وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الإطراب ويصف ألفاظه في موضع آخر فيقول: " وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي".[1]

ومـ ن أق وال الآمـ ديفي الصـ فحتين الأوليـ ين مـ ن الموازنـ ة: " البحتـ ري أعرابـ ي الشـ عر مطبـ وع علـ ى مـ ذهب الأوائـ ل، مـ ا فـ ارق عمـ ود الشـ عر المعـ روف وكـ ان يتجنـ ب التعقيد ويستكره الألفاظ ووحشي الكلام".

ويذكر البقلاني في (إعجازه) ويذكر تفضيله له بديباجة شعره على ابن الرومي وسواه، وتقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تعقد قوله. [2]

ويقول الدكتور شوقي ضيف: والبحتري إنا هو رمز لحركة التمسك بالصياغة العربية، بل التمثل لها بحيث تجري في نفس الشاعر سليقة الشعر العربي بكل سماتها

[1]- د. أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص242-243.
[2]- د. أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص242-243.

وشاراتها وبكل معانيها وخواصها، بحيث يفقه ذلك كله فقها تاما دقيقا، بما أتيح له عند العلماء وأصحاب البلاغة من ملاحظات جمالية تنبع من الثقافة بالشعر السابق، قديمة وحديثة ومن الذوق المصفى المتحضر ومن الشعور المرهف الرقيق.

ج) ميزته الفنية:

الناظر في شعر البحتري المدقق في فهم شاعريته يرى له ميزة جديرة بالذكر هي رشاقته الوصف الذي طبع بها شعره فعرف بها، وجعلت له بين الشعراء مقاما عاليا، وقبل النظر في فن شاعرنا الوصفي تقول أن الوصف نوعان، حسي وخيالي ولنوضح الفرق بينهما ببعض الأمثلة:

✓ **الوصف الحسي:**

يتناول المحسوسات فيصورها بصور رائعة وهو عين مت ما يفعله الرسام الماهر الذي يقتنص بريشة جمال الطبيعة ويجسمها بالألوان على الورق، فتبدو فتانة تميل إليها النفوس الحساسة ويتفانى في اقتنائها أهل الذوق والخبرة، كما فعل أحده في وصف ظليل إذ قال:

نزلنا دوحة فحنت علينا ... حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم

تروع حصاه حالية العذارى ... فنلمس جانب العقد النظيم[1]

✓ **الوصف الخيالي:**

أما الوصف الخيالي فنظر فني إلى ما وراء المحسوسات فإذا كان الشاعر واسع الخيال لا يقف عندما ويراه، بل يتعداه إلى مناطق يفتحها أمامه الخيال الواسع فيجعل المرئيات أساسا لغير المرئيات ويولد من المحسوسات صورا مجردة يرسمها للبشر تأملات وذكريات يقف في قلب الوادي مثلا فيسمع فيه نبضات الحياة، فيذكر الأمم الغابرة والوقائع الماضية.

---

[1]- د. فوزي عيسى، في الشعر العباسي، ص121.

د) ثقافته:

فمن سوء حظه أن المصادر كانت شحيحة في الحديث عن ثقافته ومصادرها غير أن ديوانه من الإشارات ما يؤكد بصره بعلوم عصره المتصلة بالدين واللغة والشعر والتاريخ، أو المتصلة بالفلسفة والمنطق وما يعنينا هنا هو ثقافته التاريخية والفارسية، فقد أحاط الرجل بأخبار الأمم الغابرة وبخاصة حدوده في اليمن وما كان لهم من مجد شامخ، هذا فضلا عن أخبار الفرس وملوكهم الذين تربطهم بالعرب علاقات متينة، ويضاف إلى ذلك العلم بأخبار العرب الأقدمين وبأيام العرب بصفة خاصة.

أما علمه بتاريخ (الفرس) فدليله حديثه في السينية عن الساسان وقصورهم وقوله في مدح الحسن بن سهل:

إن لـلمهرجــان حقــا علـــى كـل كبيـــــر فـــــارس وصغيــــــر

عيد آبائـــك الملــوك ذوي التيــ جان أهل النهى وأهل الخير

من "قباء" و"يزدجزد" و"فيرو ز" و"كسرى" وقبلهم أردشير

وهنا يناشد بأصول ممدوحه الفارسية، مذكرا بسالف مجد الفرس وحضارتهم ولا عجب في تلك الإشادة بعدما ذكرنا الصلة التي تربط الفرس بقوم الشاعر اليمنيين، تلك الصلة التي يشير إليها بقوله:

أيدوا ملكنا وشدوا قواه بكماة تحت السنــور حمس

وأعانوا على كتائب أريا ط بطعن على النحور ودعس [1]

فهو يذكر من وقائع التاريخ القديم مساعدة الفرس لقومه اليمانيين في رد الأحباش، ولعل هذه الإشارة تفسر لنا سبب نزوع الشاعر نحو الفرس، هذا النزوع الذي تجلى في تشييعه من جهة، وفيما اتهم به من تنوية من جهة ثانية وذلك لقوله:

ولم أرى كالدنيا جليلة وامق محث متى تحسن بعينيه تطلق

---

[1]- د. أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص250-251.

تر اها عياناو هي صنعةو احد فتحسبها صنعي حكيم وأخرق

يقول عبد العزيز سيد الأهل معلقا على هذين البيتين والبحتري على ذلك شاك وإنه لم يكن شاك، وتنوي أو كان موحدا وحسبه ذنبا لدى الناس أنه يعلم عقيدة التنويه ويصورها هذا التصوير الفني البارع، ولابد من الإشارة هنا إلى تقلب الشاعر في مزاجه ودينه.

هذا ومن ملامح منزعه الفارسي أيضا أنه، في مقام المفاضلة بين الأتراك والفرس يعلي من شأن الفرس ويجعلهم مقصده حين تزاحمت عليه هموم الحياة وما الهموم إلا ما يراه من الأتراك.

حضرت رحلي الهموم فوجه ت إلى أبيض المدائن عنسي

أتسلى عن الحظوظ، وآسى لمحـل مـن آل ساسـان درس

أذكرتنيهم الخطوب التو الـي ولقـد تذكـر الخطـوب وتنسي

وهذا يعني أن النزوع للشاعر الفارسي إنما كان شكلا من أشكال التمرد على واقعه واقع سيطرة الأتراك على مقاليد الخلافة ورده نحو العهد السابق، فإذا تساءلنا عن مصادر ثقافة الشاعر الفارسية هذه، فإننا نجدها في البيئة العباسية التي قدر للبحتري أن يعيش فيها، وهي بيئة غلب عليها الطابع الفارسي، لكن ما يثير الاستغراب حقا هو أن يرى شاعرا عربيا كالبحتري ينزع هذا المنزع الفارسي وهو الأمر الذي دفع الدكتور شوقي ضيف إلى أن يتهمه بضعف إحساسه بعروبته.

والواقع هو أن البحتري ذو نزعة عربية صريحة، فهو يميل مع القادة العرب والطائيين بخاصة، ولطالما افتخر بالعرب وأشاد بفضائلهم، بل كثيرا ما تأخذه العصبية القبلية إلى الفخر بأصله اليماني أو بالقادة والرؤساء العرب.[1]

وعليه فإن اتهام البحتري في عروبته لا يخلو من التعسف، وهو الذي جاهر بالتفاخر بقومه العرب، وجزع حين أصابتهم النكبات[2].

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص120.

[2]- المرجع نفسه، ص122.

3) عصر البحتري:

كان العصر العباسي عربي الملك شكلا فارسي الجوهر، وفي ذلك يقول الجاحظ دولة بني العباس أعجمية خراسانية، لهذا غلب الطابع الفارسي على الواقع في هذا العصر، يقول "حامد عبد القادر": يمتاز القرن الأول من الخلافة العباسية (132-232) الذي يسمى أحيانا (العصر الذهبي للخلافة الإسلامية) من الوجهة السياسية بالقوة لنفوذ الفرس وتوليهم زمام الحكم وفي مقدمتهم البرامكة، ومن الناحية الثقافية التفكيرية بانعقاد مجالس الحوار والمناقشة والجدل بقصور الخلافة، من الناحية الدينية بقوة سلطان الشيعة وتغلب مذهب المعتزلة الذين كانوا يصفون أنفسهم بأنهم أهل العدل والتوحيد ويصفهم الفرنجة بأنهم أرباب التفكير الحر في الإسلام.

وهذه خلاصة الواقع السياسي والفكري في العصر العباسي الأول، أما مظاهر السيطرة الفارسية فيه فيمكننا إجمالا بما يلي:

- إنشاء وظيفة الوزير الأول وقيام بيوت الإذن، ومصلحة البريد واستحداث وظيفة السياق وانتشار المنجمين، أضف إلى ذلك انتشار الغناء والقيان وشيوع الخمر والغلمان.
- الإحتفال بالأعياد الفارسية النيروز والمهرجان.

إرتداء الملابس الفارسية المزركشة في قصور الخلافة، فالمنصور أول من لبس قلنسوة والمتوكل كان يرتدي الملابس الفارسية.

- تسمية قصور المتوكل بأسماء فارسية كالجوسق والساج والصباح.
- تسمية المدن بأسماء فارسية مثل: بغداد والبصرة والأنبار.
- انتقال الجواري أو الأميرات الفارسيات إلى البيت العربي وهجرة بعض الأسرة الفارسية إلى البلاد العربية وما يعني ذلك انتقال اللغة والعادات.
- انتشار أخبار الملوك الفرس وتاريخهم لحاجة الخلفاء إليها.
- شيوع الترف واللهو والطرب وتعدد الأزياء والفرش والأثاث والأبنية[1] بأسمائها الأعجمية.
- انتشار الزندقة والشعوبية وبعض العادات المنكرة.

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص122-123.

إن هذا كله دليل واضح على غلبة الطابع الفارسي على المجتمع العربي في العصر العباسي غير أن سلطان الفرس لم يقتصر على ذلك إذ كانوا في طليعة المؤلفين والكتاب والشعراء ومن يدرس تاريخ التدوين والتأليف في الإسلام يجد أن معظم المبرزين في هذا الميدان كانوا من الفرس الذين أطلق عليهم اسم الموالي، وليس من ينكر فضل هؤلاء حتى في أشد العلوم والفنون اتصالا باللغة العربية والقرآن والحديث والشريعة الإسلامية، فمنهم معظم أئمة اللغة والمفسرين وجامعي الأحاديث وكثير من الفقهاء.

وليس الأمر عجيبا، "فقد كثر في العصر العباسي أبناء الفرس العلماء بالعربية والفارسية وكان في العصر نفسه عرب يعرفون الفارسية وهؤلاء وأولئك كان لهم شعر ونثر فيه أفكار فارسية في قوالب عربية، من الطائفة الأولى (ابن المقفع وسهل بن هارون والفضل بن سهل وموسى بن سيار الأسواري...). ومن الطائفة الثانية (الشاعر العتابي...) فهو عربي من تغلب، نهل من ثقافة الفرس واستهوته معانيهم فنقل بعض كتبهم إلى العربية ولما سئل عن حرصه على النقل قال: إن المعاني في كتب العجم واللغة والبلاغة للعرب.

وهذا يعني أن أثر الثقافة الفارسية كان قويـا في الشعر وشعراء هذه المرحلة، سواء بتأثير الشعراء من ذوي الأصل الفارسي أو الشعراء العرب الذين أتقنوا الفهاوية لغة ذلك العصر.

كما ينقلنا هذا الكلام إلى الحديث عن الترجمة وأثرها في انتشار الثقافة الفارسية فقد مضى الشعراء منذ ظهور كتابي الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع يتأثرون بما نقله فيهما من تجارب الفرس وحكمهم ووصاياهم في الصداقة والمشورة وآداب السلوك والسياسة، كما نقلت أمثال برز منهم الوزير الفارسي إلى العربية ودارت في كتب الأدب.

وهكذا اتسعت الترجمة في هذا العصر، وتركت أثرها البعيد في الحياة العقلية في العصر العباسي حتى ليكاد يظن الإنسان أنه لم يكن هناك أحد لا تتسع قراءته[1].

فتشمل جميع مواد الثقافات المعروفة حينئذ من عربية وإسلامية وأجنبية من موارد شتى، موارد هندية وفارسية ويونانية مع ما كان يداخل المعارف الهيلنية من موارد شرقية فارسية وغير فارسية.

---

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص123-124.

وكان لابد لهذا الجو العام أن يترك أثره في حركة التأليف وفي ثقافة العلماء والمتأدبين فها هو ذا " ابن قتية (213-276هـ) يمزج في كتابه عيون الأخبار العربية والثقافة الفارسية مزجا قويا مزاوجا بين طائفة كبيرة من الآداب في الثقافة الأولى والآداب السياسية في الثقافة الثانية، مع ما أضافه من الحكم الطريفة التي جلبها من كتاب كليلة ودمنة، المترجم عن الهندية وكذلك ما أضافه عن الثقافة اليونانية.

والأمر نفسه تجده عند البحتري فهو على الرغم من عدم تعمقه في الفلسفة والثقافات الأجنبية، نجد في أشعاره آثار الثقافات التي عاصرته حتى لنراه يشيد بالعلم والمعرفة في بعض ممدوحيه. وحري بمن يدعو هذه الدعوة أن يطلقها على نفسه وأن يأخذها بالعلم والتثقيف.

غير أنه ينبغي أن نميز بين الأثر الفارسي العام وأثر الأدب الفارسي في الأدب العربي غير مسرفين في ادعاء الأثر الثاني، فالواقع أن الأدب الفارسي هو عصر اتصال الفرس بالعرب لم يكن عظيم الخطر والذي ترجم إلى الآداب العربية من الفارسية، قليل مع كثرة ما ترجم من الآداب اليونانية.

نخلص من ذلك كله إلى أن الطابع الفارسي إن غالبا على بيئة البحتري، مما سمح بانتقال الأثر الفارسي إلى شعره وهو أثر مصدره الواقع الحي لا الأدب الفارسي، وقد كان لذلك صداه في طبيعة تجليات الفارسية في شعر الشاعر[1].

---

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص124-125.

المبحث الثاني: التجليات الفارسية في شعر البحتري:

أ **- في الألفاظ:** إن أهم تجليات التواصل بين الأمم وأبسطها هو التبادل اللغوي، واستعارة اللغة وألفاظها بلغة أخرى وعباراتها ولعل العربية لم تتأثر بلغة أجنبية أخرى قدر تأثرها بالفارسية، وقد أدى هذا إلى أن أئمة اللغة إذا أشكل عليهم أصل بعض الألفاظ الأعجمية عدو ها فارسية.

ويبدو أن شيوع الألفاظ الفارسية في الشعر العربي العباسي بات (موضة)، فكان الشعراء يسوقون في أشعارهم أحيانا بعض الألفاظ الفارسية تملحا وتطرفا، كما يلاحظ الجاحظ نفسه.

ولما كان الطابع الفارسي غالبا على الواقع السياسي والإداري والثقافي والاجتماعي في العراق، حيث قضى البحتري جل حياته، كان لابد أن يظهر الأثر الفارسي في لغته حتى انه يمكننا إحصاء ما يقارب مائة لفظة دخيلة في شعره معظمها فارسي معرب من بينها (التباين، الديباج، الدمفس، السراويل والأساورة وأسكدار والإفرند والبربند والبرجاس والزيج والنرد والسمند والطاسيج وهبرزي وكسروي ...الخ).

يقول:

فاللسيـف مسلولا أشـد مهابـة   و أظهر إفرنداً من السيف مغمدا
وسيأتيـك صلعدا عـن قليـل   كتبـه بالهـلاك فـي أسـكدرا
أدنوو أقصر عن مـداه،و إنمـا   أرمي من الملعون في برجـاس
وجـوه حسـدك مسـودة   أم صبغـت بعـدي بالـزاج
أو أدهم صافي السـواد كأنـه   تحـت الكمـي مظهر ببرندج

وهذه الألفاظ تتعلق بالألبسة والحيوان والألقاب والجواهر والفلك والزهر والخمرة والألوان والكتابة، وهي ألفاظ متصلة بالحضارة الجديدة في العصر العباسي ومعظمها معرب وعمد الشاعر فيها الى النسبة أو النحت أو الاشتقاق وهي اشتقاقات تبدو في ظاهرة غريبة. ولكنها في الحقيقة لا تخالف القياس كقوله:

مهرجـبوحك سعده لم ينحس   يوم يطيب به مدار الأكوس [1]

---

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص125-126.

ساعد وإن كنت أمرا من هـ لثـ م ودع التهشـم يومنـاو تفـرس

وقوله:

ولما تخرست يا ملعون بينهـم وأنت كور عليل الكير والكو ن

فاشتق الأفعال (مهرج وتفرس وتخرسن) من المهرجان والفرس وخراسان وتصرف البحتري هذا يكشف عن طبيعة جرأته وتصرفه في ألفاظ اللغة، فهو يخرج عن المألوف والشائع أحيانا. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن البحتري لم يخرج على قانون الأخذ عن الفارسية.

كما يتردد في شعر البحتري أيضا ذكر الأمكنة الفارسية من يدل على معرفة بلاد فارس وبالتاريخ الفارسي ومن هذه الأمكنة (آبة) و(تاسان) و(قم).

ب- في الأغراض الشعر ومعانيه:

1.المديح:

من دواعي إعجاب الشاعر بالفرس أنهم نصروا قومه في اليمن حين أعانوا سيف بن ذي يزن لمواجهة جيش الأحباش بقيادة أرياط، فلم ينس لهم تلك الأيادي وقد ذكر في سينيته حين قال:

ذاك عندي وليست الدار داري باقتراب منهاو لا الجنس جنسي

غير نعمىلأ هلها عنـد أهلـي غرسوا من زكائـها خيـر غرس

أيـدوا ملكنــاو شــدوا قــواه بكمــاة تحــت السنــور حمـس

وأعــانوا علـــى كتائـب أريـا ط بطعــن علـى النحور ودعس

هذا فضلا عن علو شأن الموالي وتوليهم المناصب العالية في البلاط العباسي فلابد إذن من الاعتراف بما لهم من سيادة، ومدحهم بما يرتضون بل الإشادة بأصولهم الأجنبية.

هذان هما باعثا مديح الفرس الرئيسيان لدى البحتري، الأول شخصي والثاني عام، لهذا وجب مدحهم غير أن الملاحظ أن مدائح البحتري في غير العرب كانت كثيرة فإذا قابلت ممدوحيه من غير الخلفاء بممدوحي "أبي التمام" مثلا ترى أن الأخير كانت مدائحه في العرب تفوق مدائحه في سواهم، أما البحتري فعلى خلاف ذلك.[1]

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص130-131.

ولعل هذا يرجع إلى اهتمام القادة الفرس بتقدير أهل العلم والأدب، فكانوا يجزلون عطاء الشعراء.

ومن ممدوحي البحتري من الفرس نذكر: إسحق بن إبراهيم المصعبي والحسن بن محلد وآله وإبراهيم بن المدبر وآله وآل سهل وأبا صالح بن يزداد وآل طاهر وأبا العباس بن سطام والشاه بن ميكال وعلي بن الفياض وأحمد بن ثوابه وإسماعيل بن نوبخت وآل دينار.

أما معاني مديحه، فتراه تارة يشيد بأصول ممدوحيه الفارسية على نحو مر بنا وهو يمدح الحسن بن سهل ويذكر المهرجان.

والمعنى نفسه نجده في قوله يمدح أبا مسلم الكجي:

شرف بين "مسلم " مسلم المجد و" عبد العزيز" و" الصباح"

وهؤلاء الثلاثة من أجداد أبي مسلم.

والبحتري إذ يشير إلى علو شأن أجداد ممدوحيه من الأكاسرة، لا يجد حرجا حين يعد هم من رهطه وأنهم أدق بالصون من عرضه ودينه، كما في قوله يمدح ابن حمدون النديم:

تلك الأعاجم تنميكـم أوائلـها إلـى النوائـب منـهاو العرائيـن

فخر الدهاقين مأثور،وفخركم مـن قبـلدهقـن آبـاء الدهاقيـن

إني أعدكـم رهطي،وأجعلكم أحق بالصون من عرضيومن ذنبي

ويذهب إلى أبعد من ذلك، فتراه يجمع في الممدوح الأصل الفارسي والجهارة والبيان ويقول في يعقوب بن شيرزاد

كريـم مـن أرومـة شيرزاد تليـق بـه الجهـارة و البيـان

ويبدو أن البحتري كان يقصد هذا المعني، وذلك لإرضاء ممدوحه وتبرئته من الإحساس بالعجمة، ولعل الفصاحة والبلاغة من المعاني غير التقليدية في المديح عند البحتري، يقول في مدح ابن الشلمغان:

لـتجاوزت بالبلاغـة ما أغيلـ علـى كـل سيـد ومسـود

و بيــ ن إذا أستعيد تجلـ ــى جـــــ دة بلـدتعــــــ دة المستعيــــ د[1]

ومن معاني المديح التي يشترك فيها العرب والموالي ويلح عليها الشاعر، المدح بالجود وكرم المحتد وعراقة النسب، ذلك وإن كان الممدوح وضيع النسب ولعل الشاعر سلك تلك الوسيلة لجهله بالأنساب الفارسية، فعمد إلى امتداح رجاله بالانتساب إلى ملوك الفرس، فحل بذلك المشكلة.

ومن ذلك مثلا قوله في أحمد بن المدبر:

تعـد لـ ــــه فــارس قربـــة وزلفــــى بكســـر ى ابن سلسانها

بقيت الإشارة إلى أن الحق الإلهي في الحكم الذي تردد في قصائد المديح التي نظمها شعراء البلاط العباسي ومنهم البحتري إنما هو بتأثير الفرس، فبات الخليفة كالملك الساساني الذي كان كاهن الدولة الأعلى يتولى منصبه بتفويض إلهي.

يقول البحتري في الخليفة المعتز:

و ارث البردو القضيب وحك م الله فـــي كـــل سيـــد و مســــــود

والبرد والقضيب من مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم كانا لدى الخلفاء العباسيين شعارا لهم وتكرر ذكرهما في شعر البحتري.[2]

قوله وهو يمدح المعتد على الله:

أريتــك الآن ألمــع البــروق أم شعـل مرفضـــة مـــن حريـــق

في عـاض تعــوض أجــو ازه بين سو ى خبـت فرمـل الشقــوق

أســال بطحــــانو لـ ـم يتـــرك أن ملئـت منـــه فجـــاج العميـــق

نبهنــــي عن زورة من هـو ى موكـــل فـــي مضجعـــي بالطروق

عـــدو ة بـــــد لنــــا ضغنـــها أحلـ ـــها الحـب محـــل الصديـق

لا أتبـــع المخبـــول عتبـــاولا ألـ ــوم غيــر البـــار يء المستفيق

سألـــت عن ماليولا مال لـ ي غيـــر بقايـــا تركـــت للحقـ ـــوق

---

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص 131-132.
[2]-المرجع نفسه، ص 132.

وقال يمدح الطائي:

يهدي الخيل لنا ذكرى إذ طـافا و افي يخادعنا و الصبح قد وافى[1]

تصدقنا المنع سعدى حين نسألها نيـلا و تكذبنـا بـذلا و إسعافـا

إن الغواني غداة البين قضين لنا ما أمل الدنف المضني بما خافا

آليت لا أجهد الطائي لدمسا جدوى ولا أسأل الطائي إلحافا

وقال بمدح أبا الخطاب:

أخ لي من سعد بن نبهان طال ما جرى الدهر لي من فضل نعماه بالسعد

ثقيل مـن عبـد العزيـز سجية هي المجـد تماما بل تزيد على المجـد

و ما قبح المعروف إلا عدا اسمه علـى فكـان اسما لمعروفـه عنـدي

فدتك أبا الخطاب نفسي من الردى ولا زلـت تفـدى بالنفـوس ولا تفـدى

فالرقـة البيضـاء عند اجتماعنـا يد فيـك بيضـاء يقـل لهـا حمـدي[2]

2. في الحكمة والصداقة:

اهتمت الحكمة الفارسية بالتآخي والصداقة، لهذا أكثر الحديث عن هذين الجانبين في كتب الفرس المترجمة وفي كتب العرب المتأثرة بالفرس.

وقد ظهر أثر ذلك واضحا في مؤلفات ابن المقفع وفي شعر كل من بشار وأبي العتاهية، وكان لابد أن يتأثر البحتري أيضا بذلك، ولاسيما في موضوعي الإخوانيات والصداقة والصديق، فمن إخوانياته قوله يستبطئ أبا نهشل:

يا أبا نهشـل ! نـداء غريب مستكيـن لنـازلات الخطـوب

صابـر منـك كـل يـوم على جملـة هـذا الجفـاء و التثريب

وقوله لرجل من أهل رأس العين كان صديقا له فجافاه وتغير عليه:

يا سعيد الأمر فيك عجيب أين ذاك التأهيل و الترحيب

نضبت بيننـا البشاشـة والـود ، وغار كما يغور القليب

[1]- د. يوسف الشيخ محمد، ديوان البحتري الجزء الأول، د.ط، دار الكنب العلمية، بيروت، لبنان، ص154-318-321.

[2]- د. يوسف الشيخ محمد، ديوان البحتري الجزء الأول، ص154-318-321.

أما موضوع الصداقة والصديق فقد خصه الشاعر بثلاثة مقطوعات يقول في الأولى:

كم صديق عرفته بصديق صار أحضى من الصديق العتيق

ورفيق رافقته في الطريق صار بعد الطريق خير رفيق[1]

ويقول في الثانية:

إذا ما صديقي رابني سوء فعله ولم يك عما رابني بمفيق

صبرت على أشياء منه تريبني مخافة أن أبقى بغير صديق

ويقول في الثالثة:

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل الخليلا

وإذا ما نطقت كنت صحيحا وإذا ما سكت كنت عليلا

ومن الملاحظ أن كتب الأدب لم تنس هذه المقطوعات لأحد، أو نسبتها لغير البحتري.

وأنه لم يسبق نشرها في ديوان البحتري.

هذا وقد تناول الشاعر هذا الموضوع في إخوانياته كما في قوله من قصيدة قالها في أبي نوح الكاتب:

ويكفي الفتى من نصحه ووفائه تمنيه أن يردى ويسلم صاحبه

كما تناوله في القصائد والمقطوعات التي قالها في التوقع لمرض صديق أو أسرة أو حبه أو فراقه، من ذلك قوله يتوجع لوصيف لما أسر:

ذكرت وصيفا ذكره الهائم الضب فأجريت سكبا من دموعي على سكب

أصادقتني فيـك المنى ومديلتــي صروف الليالي من شفيع ومن قـرب

متى تذهب الدنيا ولم أشف منها فلا أربي منها قضيت منها ولا نـحبي[2]

وقوله في الحكمة:

إذا ما نسبت الحادثات وجدتها بنات زمان أرصدت لبنيه

متى أردت الدنيا نباهة خامـل فلا ترتقب الاخمـول نبيـه[3]

---

[1]-وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص 134.

[2]- المرجع نفسه، ص 135.

[3]- د. محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص204.

مقدمة حكمية استهلها في قصيدته عن الأجل المحتوم الذي لا مهرب منه، وعن الموت الذي يغتال المرء على غرة وأن الحياة رحلة قصيرة، ويشير إلى فداحة فقد هذا القائد العظيم[1]

فيقول:

بأي أسـى تثنـى الدمـوع الهوامـل ويرجـى زيـال من حوى لا يزايل

دع المـوت يغتـل مـن أراد فإنـه ثوى اليوم من تخشى عليه الغوائل

ولم يبـق مرهـوب تخـاف شذاتـه ولا مفضـل ترجى لديـه الفواضـل

وكانت حياة الحي سوقا إلى الـردى وأيامـه دون الممـات مراحـل

وما ليث من يغدو وفـي كـل لحظـة لـه أجـل فـي مـدة العمـر قاتـل

وللمـرء يـوم لا محالـة مالـه غـد وسـط عـام ماله الدهر قابل

كفانـا اعتـرافا بالفنـاء ورقيـه لمكروهـه أن ليـس للخلـد آمـل[2]

3.الوصف:

يعد البحتري من أهم شعراء الوصف بالأدب العربي، بل عد الشاعر الأكبر في الوصف وقد برزت ملامح الحضارة الجديدة والمتأثرة بالفرس واضحة في شعر الشاعر الوصفي وذلك من خلال:

أ- وصف المعركة البحرية بين العرب والروم: فتلك المعركة التي انتصر فيها العرب بقيادة أمير البحر أحمد بن دينار (هو من أصل فارسي) على الروم يقول الشاعر مخاطبا ابن دينار:

وحولـك ركابهـا للهـول عاقـروا كؤوس الردى من دار عين وحسر

يسوقـون أسطـولا كـأن سفينـة سحائب صيـف مـن جهـام وممطر

كأن ضجيـج البحـر بيـن رماحهـم إذا اختلفت ترجيع عـود مجرجـر

تقـارب مـن زحيفهـم فكأنمـا تؤلـف مـن أعنـاق وحـش منفـر

---

[1]-د. فوزي عيسى، في الشعر العباسي، ص 251.

[2]- المرجع نفسه، ص251.

فما رمت حتى أجلت الحرب عن طلى مقطعـــة فيهـــم وهـــام مطيـــر

ب-وصف الحروب مع نابك الخرمي: الذي ورث الملك عن جاويد ان ملك جبال البدو من كان بها الخرمية، فلما قويت شوكة عبثه وفساده تصدى له المأمون.[1]

يقول البحتري في وصف الربيع:

أتاك الربيع الطلق يختـــال ضاحكـــا من الحسن حتى كـاد أن يتكلمـا
وقــد نبـــه النـور وفي غلس الدجى أوائـل وردكـن بالأمـس نوما
يفتقهــا بـــرد النــــدى فكأنــــه يبث حديثا كـــان أمـس متكلما
ومــن شجــر رد الربيـــع لباسـه عليه كما نشرت وشيـا منمنما
أحــل فأبـــدى للعيـــون بشاشـــة وكان قذى للعين إذا كان محرما
ورق نسيـم الريــح حتـى حسبتـه يجـيء بأنفاس الأحبـة نعمــا
فما يحبس الراح التي أنت خلهـا وما يمنـــع الأوتـــار أن تترنمـا!
ومازلت شمسا للندامى إذا انتشوا وراحوا بدورا يستحثـون أنجما

فصور الطبيعة والنيروز والوشى ومجالس الغناء والخمرة، كلها تحتمل تأثيرا حضاريا فارسيا واضحا ويبدو أن البحتري، أفاد طرفا من العلم بالموسيقى وأعلامها.

ج- وصف مظاهر العمران: للبحتري قدرة بارعة فيه وذلك بما أتيح له من دقة في التصوير والتعب، فلم يكد يترك قصرا بناه المتوكل دون أن يصفه موجزا أو مسهبا.

وما يستوقفنا هنا هو الأسماء الفارسية لبعض القصور، مما ذكره البحتري في شعره ومما يدل على جو حضاري فارسي واضح يقول:

كـم ليلـة ذات أجـراس وأروقـة كاليم يقـــذف أمواجـا بأمـواج
فالزو والجوسق الميمون قابله غنج الصبيح الذي يدعى بضاح

ويقول في قصر الساج:

وكأن قصر الساج خلـه عاشق برزت لواقعهـا بوجـــه مونـــق

---

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص124.

ويقول في قصر شراز:

جاور الجعفـري وانجـاز شبـرا ز إليـــه كالراغـــب المعتـام[1]

هـ- رثاء المماليك السابقة: وهو إن لم يكن أول من وقف بآثار السابقين، فإنه تقدم على غيره من الشعراء كافة في العناية بأمارات عظمة الممالك الزائلة، مشيدا بأصحابها وما خلفوه من جهود تشي برفعة شأنهم، وهذا إنما يدل على موقف إنساني حضاري من الأمم الأخرى.

ومن أهم قصائد البحتري في ذلك سينيته المشهورة في إيوان كسرى التي نظمها بعد مقتل المتوكل بثلاث وعشرين سنة، ومن أهم البواعث على نظمها حزن الشاعر لرؤية الملك العربي الفارسي بدول أمام سيطرة الأتراك ومعاناته من هذا التسلط (فقد تطاول ابن طولون التركي على ممتلكاته).

وهكذا كانت قصيدة الإيوان تجسيدا حيا لنزعة الشاعر الفارسية ومما جاء فيها قوله:

حضـــرت رحلـــي الهمـوم فوجهـ ت إلى أبيض المدائن عنسي

أتسلـــى عـــن الحظـــوظ وآسـى لمحـل من آل ساسـان درس

أذكرتنيهـــم الخطـــوب التوالـــي ولقـد تذكـر الخطوب وتنسي

فكأن الجرمـــاز مـــن عـــدم الأنـ س وإخلالـــه بنيـــة رمـــس

وإذا مـــا رأيـت صـــورة أنطـــا كيـــة ارتعـت بين روم وفـرس

والمنايـــا مواثـــل وأنوشـــر ون يزجى الصفوف تحت الدرفس

يغتلـــي فيهـــم ارتابـــي حتـــى تتقراهـــم يـــداي بلمـــس

وتوهمـــت أن كســـرى أبـــروير ز معاطـــي والبلهبـــذ أنســـي

حلم مطبـق علـى الشـك عينـــي أم أمـــان غيـــرن ظنـي وحدسي

وقد أجاد البحتري في وصف حاله مع الذئب، وأجاد قصيدة طويلة ومنها:

وأطلس مـلء العيـن يحمـل زوره وأضلاعه من جانبيه شوى نهد

لـــه ذنـــب مثـــل الرشـــاء يجـره ومتن كمتن القوس أعوج، منـأد

طواه الطوى حتـى استمـر مريـره فما فيه إلا العظم والـروح والجلد

---

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص135-136.

يـقضقض عصلا، فـي أسرتهـا الردى كقضقضـة المقرور، أرعـده البـرد

سما لي، وبي من شدة الجوع ما به ببيداء لم تحسس بها عيشـة رغـد

كلانـا بهـا ذئـب يحـدث نفســه بصاحبـه، والجـد يتعسـه الجـد

عوى ثم أقعـى، وارتجـزت، فهجتـه فأقبـل مثـل البـرق يتبعــه الرعـد

فأوجرتـه خرقـاء، تحسـب ريشـها على كوكب ينقض والليـل مسود

فمـا ازداد إلا جـرأة وصرامــة وأيقنت أن الأمـر منـه هو الجـد

فأتبعتها أخـرى، فأضللت نصلـها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فخر وقـد أوردتـه منهـل الـردى على ظمإ، لـو أنـه عـذب الـورد

وقمـت فجمعت الحصى، فاشتويته عليه، وللرمضاء من تحتـه وقـد

ونلـت خسيسـا منـه، ثم تركتـه وأقلعت عنه، وهـو منعفـر فـرد

وقد أجمع عليه المجمع على أنه لم يأت بعد البحتري من هو أطبع منه على الشعر ولا أبدع للخيال الشعري مثله.

وبهذا كان الشعر عند البحتري محبوبا للناس، قليل الخصوم منهم عامة حياته، واتفق أن خالف طريقته السمحة في قصيدة يقول فيها يصف الدنيا:

أخي متى خاصمت نفسك فاحتشد لها ومتى حدثت نفسك فاصدق

أرى علـل الأشيـاء شتـى ولا أرى التـجمــع إلا علـــة للتفــرق

أرى العيش ظلا توشك الشمس نقله فكس في ابتغاء الرزق كيسك أومق

أرى الدهر غـولا النفـوس وإنمـا بقى الله في بعض المواطن من بقى

فلا تتبـع الماضـي سؤالك لم مضى وعرج على الباقي فسائله لـم بقـى

ولـم أرى كالدنيـا حليلـه صاحـب محب متى تحسـن بعينيـه تطلـق

تراهـا عيناهـا وهـي صنعة واحد فتحسبـها صنـعى لطيـف وأخـرق[1]

فأوهم بيته الأخير المناقصة في أفعال الخالق الحكيم المنزه عن الحكمة حتى ليحسب الناظر في أحوال الدنيا أنها من خلق اثنين أحدهما حكيم يؤثر الخير والأصلع في صنعه والآخر أخرق يؤثر الفساد والشر، وهذا ا يشبه عقيدة المجوس القائمين بإلهين إله الخير

[1]-د. محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص 203-204.

وإله الشر، فأول حساده البيت بهذا المعنى فأشاموه في العامة من الحنابلة وكانت غالبة على بغداد، فخاف على نفسه وقال لابنه أبي الغوث: قم يا بني حتى نطفئ هذه النائرة بخرجة تلم فيها ببلدنا ونعود، فخرج ولم يعد. [1]

والوصف كان معروفا عند العرب، ولكنهم كانوا يتناولون فيه ما يتصل بالبادية من وصف الأطلال ورمال الصحراء. والسراب والخيل والحمر الوحشية والذي استحدث في العصر العباسي وصف أشياء استحدثتها الحضارة المترفة، والترف العباسي منقول عن بيئات أجنبية كالفرس ولم تعد الروضة التي يصفها العباسي هي الروضة البدوية الفطرية ولكنها أصبحت روضة مصنوعة، تحشد فيها صنوف الورد والرياحين التي لم يعرفها العرب وتنسق تنسيقا رشيقا تجري خلاله الجداول.

وهنا يقول البحتري في وصف روضة من هذه الرياض:

ولازال مخضر من الروض يانع عليه بمحمر مـن النـــور جاسـد
يذكـــرنا ريـــا الأحبــــة كلمـــا تنفس في جنح مـن الليـل بـارد
شقائـــق يحملـــن النـدى فكأنـه دموع التصابي في حدود الخرائط
ومـــن لؤلـؤ في الأقحوان منظم علـى نكـــت مصفـــرة كالفرائـــد
كان جنى الحوذان في رونق الضحى دنانيـــر تبـر من توأم وفارد

وقوله في وصف الغيث:

ذات ارتجـــاز بحنيـــن الرعـــد مجرورة الذيل صدوق الوعد
مسفوحة الدمج لغيـــر وجـــد لهـا نسيـم كنسيـــم الـــورد
ورنـــة مثـــل زئيـــر الأســـد ولمع بـــرق كسيـــوف الهنـد
جاءت بها ريح الصبا من نجـد فانتثـــرت مثـــل انتثـار العقد[2]

فراحـت الأرض بعيش رغـــد من وشي أنوار الربى في برد
كأنـها غدرانـــها فـــي الوهـــد يلعـــبن مـن حبابـــها بالنـ رد[3]

[1]-د. محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، ص204.
[2]- د. عثمان عوافي، التيارات الأجنبية في الشعر العربي، ص331.
[3]- د. يوسف الشيخ محمد، ديوان البحتري الجزء الثاني، ص52.

والإشارات الفارسية واضحة في الأبيات فضلا عن الموقف الشعوري الإجابي ن الحضارة الفارسية، فتتوالى فيها أسماء أعلام الفرس (آل ساسان وأنو نشروان، كسرى، أبرويز والبلهند) وآثارها (الجرمان وأبيض المدائن)، وذكرى معاركهم مع الروم والبحتري يراعي في ذلك أن يطرز أبياته بألفاظ فارسية تناسب الجو العام للقصيدة من ذلك قوله :

لم يعبــه أن بزمـن بســط الديـ ـباج واستل من ستور الدمقس

ج- البحتري في إيران:

بعد هذا العرض المفصل للأثر الفارسي في شعر البحتري، أرى أن أتحدث عن استقبال الفرس لشعر البحتري نسخا وشرحا واختيارا وتأثرا.

فمن النسخ المعتمدة في تحقيق الديوان نسخة الشيرازي (علي بن عبد الله الشيرازي)، التي بدأ كتابتها بمدينة " تبريز" في رمضان سنة 424 وختمها في صفر سنة 425 وهو رجل فارسي دقيق الضبط.

وذهبت عناية بعضهم بالشاعر إلى شرح ديوانه واختياراته فيذكر ياقوت (معجم الأدباء) 47/12 والسيوطي (بغية الوعاة) 276 ، أبي الخبري وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن حكيم الخبري بنسبة إلى (الخبر) من قرى شبراز بفارس والمتوفى ببغداد سنة 476هـ، شرح الحماسة وديوان البحتري وعدة دواوين أخرى، جاء في تلخيص ابن مكتوم وهو يترجم للخبري أنه شرح الحماسة ودواوين البحتري والمتبني والرضي الموسوي.

ومما يدل على اهتمام رجال العلم بفارس به أنه ذكر لعبد القاهر الجرجاني اختيار من شعر البحتري.و لم يقتصر التأثير على الشرح والاختيار بل تجاوزه إلى الشعر نفسه، فحاكاه بعضهم في رثاء الإيوان[1].

يقول الدكتور أحمد الحوفي وقد حاكى الفرس العرب في بكاء الآثار فالشاعر الحقاني المتوفى في القرن الخامس هجري قصيدة وقف بإيوان كسرى واستلهمه الحكمة والموعظة وبكى مجد الفرس الثائر.

[1]- وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص137-138.

ولا عجب في اهتمام الفرس هذا بالشعر العربي عامة وبشعر البحتري خاصة صناعة الشعر باعتراف رجال العلم الفرس أنفسهم صناعة عربية، وهم فيها تابعون للعرب فقد اضطر (شمس الدين محمد بن قيسة الرازي) وهو يتكلم في العروض الفارسي أن يستند إلى شرح العروض العربي لأن صناعة الشعر، كما قال المؤلف نفسه من اختراع العرب والعجم في كل الأبواب تابعون لا واصفون وناقلون لا مستقلون[1].

[1]-وحيد صبحي كبابه، الأثر الفارسي في شعر البحتري، ص137-138.

الخاتمة

نستخلص مما سبق من خلال ما تم عرضه في بحثي هذا أن للثقافة دور كبير في تحصيل المعارف و أن ملامح الثقافة الفارسية في العصر العباسي لها دور كبير في معرفة معاني الشعر وأساليبه، ويعد الأدب العباسي ناشط بالحياة الفكرية بذلك العصر حيث ازدهرت فيه حركات مختلفة واتسعت ميادين الثقافة مما كان له أكبر الأثر في التكوين الثقافي للشعراء.

ونستنتج أن بعض ملامح التأثير الفارسي في شعر البحتري وهو تأثير لا يكاد يتجاوز الحدود الشكلية إلى التغيير الجوهري، ولعل ذلك يعود إلى ضعف الأدب الفارسي في عصر البحتري (فالنهضة الأدبية الفارسية ظهرت في عهد الدولة السامانية، أي في أواخر حياة البحتري فكل ما هنالك إذا إنما هو تأثرات لغوية لفظية شكلية، أو معنوية حكمية، مما لا يتصل بالبناء العام للقصيدة العربية أو الحملة العربية وإن عودة إلى ما ذكرناه تجعلنا نستخلص الدرس الحضاري الذي كان العرب والفرس مثاله الحي في العصر العباسي وكان البحتري أحد الفرسان الذي جسدوه في شعرهم.

فتأثر البحتري بالفرس لغة وإعجابا وموقفا حضاريا، إنما يجسد الأفق الإنساني الذي كان يتجلى به الإنسان العربي اليوم في علاقاته بالأمم الأخرى، تلك العلاقة التي تقوم على الانفتاح الجريء الواثق والأصيل الذي يتخذ الحوار والأفق الحضاري أساسه وبناء الإنسان غايته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1) الآداب العربية في العصر العباسي الأول، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1991.

2) الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة، مصر، دون طبعة، سنة 1998.

3) أمراء الشعر في العصر العباسي، د. أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة الثانية، سنة 1969.

4) ديوان البحتري، د. يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الجزء الاول، دون سنة.

5) الحضارات القديمة، د.نسيم واكيم البازجي، دار علاء الدين، دمشق، الجزء الأول، الطبعة الأولى.

6) الحياة الأدبية في العصر العباسي، د. محمد خفاجي، دار الوفاء، الطبعة الاولى، سنة 2004.

7) معالم وحضارات الشرق الأدنى القديم، لمحمد أبو المحاسن، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1997.

8) الموجز في الأدب العربي وتاريخه، د. جنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، سنة 1991.

9) موسوعة شعراء العصر العباسي، د. عبد عون الروضان، دار أسامة، الطبعة الأولى، سنة 2009.

10) سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية و لغتهم، د. محمد التونجي، دار المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، دون طبعة، دون سنة.

11) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية، العراق، إيران)، شوقي ضيف، دون طبعة، دون سنة.

12) تاريخ البشرية، د. نيقولا زيادة، دار الأهلية، بيروت، الجزء الأول، سنة 1981.

13) تاريخ الحضارة الإنسانية، محمد خريسات وآخرين، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 1999.

14) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث، د. نجيب محمد البهيتي، دار البيضاء، المغرب، دون طبعة، دون سنة.

15) التيارات الأجنبية في الشعر العربي، د. عثمان عوافي، دار المعرفة الجامعية، دون طبعة، دون سنة.

16) الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفي الشكعة، دار العلم والملايين، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1980.

17) ثقافة المتنبي، د. فاروق حسان، دار العلم والايمان، الطبعة الأولى ، سنة 2008.

الدوريات:

1) الأثر الفارسي في شعر البحتري، وحيد صبحي كبابه، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26، سنة 2011.

2) مجلة الرافد، العدد التاسع، سنة 2011.

المواقع الالكترونية:

1) الإمبراطورية الفارسية s://or.m,wikipedia- org.

2) تاريخ الحضارة الإيرانية Konoooz .united .com.

3) مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في العصر العباسي www.startimes.com.

فهرس الموضوعات

الفهـــرس: